www.ibtesama.com/vb

روايات الهلال

مها تبتسم للملائكة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

على ماهر عيد

15

روايات الهلال

سلسلة شهرية لنشر القصص العربي والعالمي تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
حلمى النمنم

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
محمود الشيخ

مدير التحرير
هالة زكى

سكرتير التحرير
وجدان حامد

الإدارة

القاهرة: ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١العتبة ـ القاهرة ـ الرقم البريدي ١١٥١١ ـ تلغرافيا: المصور ـ القاهرة ج.م.ع.
تلكس: Telex 92703 hilal u n
فاكس: FAX: 3625469

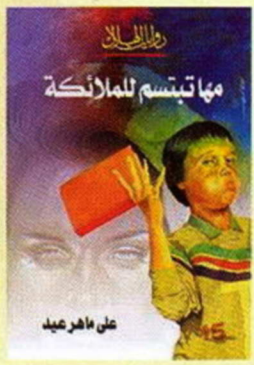

الغلاف
محمد أبوطالب

الاشتراكات

قيمة الإشتراك السنوى ٧٢جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٣٥ دولاراً - أوروبا وأسيا وأفريقيا ٤٠ دولاراً - أمريكا وكندا والهند٤٥ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً.
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الإصدار الأول/ يناير ١٩٤٩
العدد ٧٥٧- فبراير ٢٠١٢م - ربيع أول ١٤٣٣هـ

البريد الإليكترونى: helalmag@yahoo.com
بريد الاشتراكات subscription_dep@yahoo.com

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٦٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس ـ الكويت ١,٢٥٠فلس - السعودية ١٢ ريالا البحرين ١,٢ دينار- قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٢دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٣,٥ جنيه.

مها تبتسم للملائكة

رواية

على ماهر عيد

دارالهلال

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٣١٠٥

الترقيم الدولى I.S.B.N: 977-07-1520-4 X

إهداء

إلي الصديقتين:

الدكتورة / عفاف طبالة

والدكتورة/ عبير أنور

والصديق الفنان / عبدالرحمن بكر

والكاتب الكبير/ عبدالتواب يوسف

والناقد الفنان/ محمود عبدالوهاب

والكاتب الشاب/ محمد عاشور

فقد أثروا حياتي كثيرا.

م/ على ماهر

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

١ - مها تحكى عن رحلة مثيرة

ضحك الصباح مبتهجا ، وهو يطل من نافذة الكون .

غردت العصافير تحية لضوء الفجر الوليد .

مشاعر الفرح تملأ داخلى ، سمعت صوت أبى وهو يردد أدعية الصباح، خرجت إلى الصالة فوجدت أمى تقرأ فى القرآن ، وقد انتهت من صلاة الفجر .

- صباح الخير يا أمى .

- صباح الخير يا نور عينى .

كلماتها معبقة بالحب والحنان ، ونظراتها تثير الأسى فى أعماقى. كثيرا ما تسألنى برقة محملة بالشفقة هل أنت سعيدة يا مها ؟ فأجيبها ، وأنا أبتسم : الواجب هو المهم وليست السعادة يا أمى. تمصمص شفاهها ، وتنشغل فى قراءة القرآن .

أعدت أمى كثيرا من الشطائر لآخذها معى فى الرحلة .

ذهبت إلى المدرسة ، كان الاتفاق أن يتجمع التلاميذ فى الفناء. جرى التلاميذ نحوى عندما رأونى ، منظرهم يبهج قلبى المتشوق للحنان ، رأيت الفراش صابر ، وهو يرتدى معطفا ثقيلا مما يرتديه رجال الشرطة ، وجهه مكتس بملامح جادة ، وكأنه مقبل على مهمة خطيرة ، ابتسمت ، وحييته .

اجتمع التلاميذ حولى ، نظراتى بحثت عن المشرفة (وداد) فهى سترافقنا فى الرحلة .

قال صابر أبلة وداد لم تحضر بعد .

قلت للتلاميذ قفوا صفاً، ومن يسمع اسمه يجيب ويرفع إصبعه ، وبدأت فى نداء التلاميذ .

وفى أثناء ذلك وقفت سيارة فاخرة أمام باب المدرسة، ونزل منها التلميذ أيمن ، وجرى نحونا ، وصوت أمه يلاحقه

- لا تجرى يا أيمن .. تمهل يا ولد .

حيتنى السيدة ماجدة والدة أيمن ، وهى مكسوة ببالطو من الفرو . وعقد من الألماس يحيط برقبتها ، وقالت لى بصوت متلاحق وكأنها كانت تحفظ الكلمات اهتمى بأيمن ، ولا تدعيه يخلع البالطو ، ولا يجرى كثيرا ، ولا ... ولا

ابتسمت ، أنا أدرك لهفة الأمهات وقلت سأحيطه برعاية كاملة .

نادت السيدة ماجدة على ابنها وقالت له لا تترك أبلة مها ، كن ملاصقا لها . وأيمن لاينظر إليها ، يهرب بنظراته بعيدا .

وجاءت المشرفة وداد ، وأصرت على أن تتمم على الأولاد مرة أخرى ، وأن تلقى بكثير من التحذيرات والتنبيهات .

انطلق التلاميذ إلى أوتوبيس الرحلات عندما توقف أمام باب المدرسة، رفضت مديرة المدرسة أن نذهب إلى أسيوط فى القطار ، وأصرت على أن نستأجر أوتوبيسا لينقلنا من ديروط إلى أسيوط ذهابا وإيابا .

قضينا وقتا سعيدا فى الأوتوبيس ، وأنا أعيش مع الأطفال فى مرحهم ، وضجيجهم ، وأغانيهم الشعبية .

أما المشرفة وداد .. فكانت تراقبهم، مراقبة الحدأة للكتاكيت ، ويتعالى صوتها كثيرا بالزجر والنهى .

والفراش صابر .. يجلس قريبا منها ، لينفذ أوامرها .

التلميذ حسام استرعى الانتباه لامتلاكه موبايل فاخر له مزايا عديدة. والد حسام يعمل محاسبا فى دولة قطر ، ويغدق على ابنه بهدايا عديدة ، يحرص حسام على أن يريها للآخرين ، ويتفاخر عليهم ، حاولت أن أحدث أم حسام ، وألفت نظرها إلى حجب هذه الهدايا حتى لاتثير الحقد فى نفوس التلاميذ ، لكنها مثل ابنها فهى أيضا تتفاخر بالحلى والملابس .

«إنهم لايعرفون أن قيمة الإنسان فيما يعرف لا بما يمتلك» عندما أقول لهم ذلك ينظرون إلىّ ساخرين ، وكأن نظراتهم تقول لى أنت تبررين عجزك، وبساطة مظهرك .

كان برنامج الرحلة أن نذهب إلى قناطر أسيوط ، وبعدها ذهبنا إلى مبانى الجامعة ، وأخيرا .. إلى حديقة الحيوان .

انطلق التلاميذ يلعبون بالرغم من صياح المشرفة وداد ، وتحذيرات الفراش صابر .

وجاء أيمن وقال لى أرجوك يا أبلة احفظى البالطو معك وقبلت ، ونبهتنى وداد لكلام السيدة ماجدة أم أيمن قلت لها

- اللعب والحركة مهمة جدا للأولاد .

- نعم ولكن الدنيا برد .

- الشمس ساطعة .

- إنى أتعجب كيف تحتفظين بكل هذا الصفاء وهدوء النفس بالرغم ... ولم تكمل.

ورمقتنى بنظرة غريبة وسألتنى : هل أنت سعيدة ؟

لماذا يحرص الآخرون على توجيه هذا السؤال لى ، كأن القاعدة أن أكون غير سعيدة ، لأنى فى نهاية العقد الرابع من عمرى ولم أتزوج.

قلت لها السعادة تعتمد على ما فى عقولنا من أفكار، وما فى قلوبنا من مشاعر، وما فى أرواحنا من صفاء وإيمان .

- القراءة أفسدت حياتك .

توقف الكلام عندما جاء أيمن، وطلب منى البالطو ، كانت نظراته متكسرة ، وحركاته مضطربة .

أخذ البالطو ، وجرى بعيدا

ثم جاء حسام ، وهو يبكى .. ويحيط به عدد من التلاميذ ، أسرعت المشرفة وداد إليه ، وسألته بلهفة ، وهى تتوقع كارثة

- ماذا بك ؟

- سرقوا الموبايل .

- من الذى سرقه ؟

- لا أعرف .
- أين كنت تضعه ؟
- فى حقيبتى .
- وأين كانت حقيبتك ؟
- تحت الشجرة .
- ولماذا لم تحتفظ بالموبايل معك ؟

لم يجب .

كنت أستمع للحديث باهتمام .

قالت وداد : وقع ما كنت أخشاه .

قلت لها بهدوء : سنجده .

- كيف ؟
- سيكون مع أحد التلاميذ .
- قصدك سرقه أحدهم .

وكأن صابر كان ينتظر هذه الكلمة ، فقال : أنا أعرف السارق .

نظرت إلى التلاميذ المتجمعين ، وطالبتهم بالانصراف ، بمن فيهم حسام الذى استمر فى البكاء ، متسائلاً : كيف أجد موبايلى ؟

قلت له اذهب الآن ، وثق أننا سنجده .

انصرف متلكئا .

سألت وداد صابر من السارق ؟

- إنه أيمن .
- آه ... اللص .

سألته أنا كيف عرفت ؟

- رأيته ، وهو يضعه فى البالطو بعد أن أخذه منك .

صاحت وداد نادى أيمن .

قلت بسرعة أرجوك ... دعى الأمر لى .

- هل تراعين مشاعر لص ؟!
- إنه طفل .
- والغريبة أنه ثرى .
قلت محاولة تهدئتها : لم نتأكد حتى الآن من أنه أخذ الموبايل .
قال صابر بحدة : أنا متأكد .
- التزما الهدوء ، وأنا سأتصرف .
ذهبت إلى أيمن ، وأخذته بعيداً ، كان الولد يرتعش، أخذت أطمئنه ، وأحدثه عن الأزهار والطيور .. وأسير معه بعيداً عن الأنظار .. إلى أن وقفنا تحت شجرة بعيدة ، قلت له
- كلنا نحب الهدايا ، والأشياء الجديدة ، متى كان عيد ميلادك .
- سيكون فى شهر أبريل .
- ماذا تحب أن يحضر لك أبوك ؟
- هو لايحضر هدايا لى .
- وأمك ؟
- تعطينى نقودا .
- هل ترغب فى موبايل أو ساعة ؟
- معى ساعة .
- إذن أنت تحب أن يكون معك موبايل .
- نعم .
- وأنت استلفت موبايل حسام ، لكى تحضر مثله .
- ماذا ؟!
- هذا شىء طبيعي ، أنا كنت أريد أن أستلفه لأراه هل به تليفزيون .
- نعم .
- وبه كاميرا ؟
- نعم .

- أرنى ..

أخرجه من البالطو، وهو يرتعش ورأسه منكسة، وفرت الدماء من وجهه .

وأخذ يغمغم أنا .. أنا .. أنا ..

- أنت استلفته لتشترى مثله .

- نعم .. نعم ..

- لكن الخطأ الوحيد .. الذى وقعت فيه أنك لم تستأذن صاحبه .

- كنت أنوى .. أن ..

- نعم أعرف ، والآن ، اذهب لتلعب ، ولا تهتم بشىء .

- لكن ..

- لاتخف ، اذهب لتلعب .

وسألتنى وداد بحدة : هل كان معه ؟

- نعم ، إنه كان سيرى مميزاته ، ثم يعيده إلى صاحبه .

- وهل صدقته ؟ إنه لص .

- لا تبالغى إنه مجرد طفل .

- أنت تفسدين الأطفال بطريقتك هذه .

تجاهلت غمزها ، وقلت : فلنكمل رحلتنا بسعادة .

قالت بلهجة ذات مغزى يثير القلق : سنكملها، وأكملت كأنها اتخذت قرارا باترا ولكنى سأضع حدا لهذا .

٢ - عالم أيمن

وصل أوتوبيس الرحلة إلى باب المدرسة بعد الغروب. تطلع أيمن من الأوتوبيس فرأى أمه تنتظره بسيارتها الفاخرة. نزل الجميع.

عندما نزل أيمن رأى أمه تقف مع الأستاذة مها. شمله الاضطراب، ونظراته تكسرت عند وجه معلمته ، وتمنى ألا تفشى سره ، وشعر بالحقد

عليها ، فلابد أنها قصت على أمه ما حدث منه ، هكذا تصور ، وقرر أن يشوه صورتها فى الطريق . سألته أمه عن الرحلة ، وإن كان سعد بها ؟

أجاب: لم أسعد ، وأكمل بلعثمة أبلة مها .. أساءت إلينا.

السيارة وصلت للقصر ، فتوقف الكلام ، وتمنى أيمن أن تنسى أمه موضوع الحديث. ولكنها لم تنس ، وسألت أيمن : ماذا فعلت مها معك ؟

– لم تتركنى ألعب ، وأخذت منى الموبايل .

– أى موبايل ؟!

كانت سقطة لسان من أيمن ، لا يدرى كيف وقع فيها .

ولذلك قال بسرعة : أريد موبايل .

– ماذا ؟!

– حسام معه موبايل .

– من حسام ؟

– تلميذ معنا ، والده محاسب ، وليس لديهم قصر مثلنا ، لكن معه موبايل .

ابتسمت الأم ، وقالت له اذهب للحمام ، واستعد للعشاء.

خاف أيمن من حصار أمه ، وأسئلتها المتلاحقة ، فادعى أنه تناول العشاء ، وقال : سأذهب لجدى لأحييه قبل النوم .

القصر الذى يعيشون فيه يمتلكه الجد الحاج صقر ، ومكون من عدد من المبانى المستقلة ، ويقيم جده وحده فى بناء خاص به ، وهناك بناء للدكتور عماد ، وبناء للأستاذ كمال المحامى.

ذهب أيمن إلى جده فى القاعة التى يتعبد فيها ، فهو يتخذها مسجدا يصلى فيه ويقرأ القرآن ، وكتب التراث .

وجهه يشع نورا ، وله لحية بيضاء مشذبة ، نظر الجد إلى أيمن ، وقبله فأزال كثيرا من الاضطراب ، وبعث بالسكينة إلى روحه ، ثم نظر إليه نظرة نافذة ، وقال بصوت عميق «لاشىء يعادل راحة الضمير» .

رغب أيمن فى الهروب ، وقال بإندفاع : أريد موبايل .

سأله الجد متعجبا ، فهذه أول مرة يسمع هذه الكلمة ماذا ؟!

حتى هذه الكلمة لم يعرفها الجد ، ولكنه ابتسم ، وقال «كل زخارف الدنيا لا تعادل راحة الضمير» .

استأذن أيمن للانصراف .

قال الجد كأنه يحاول غرس شىء فى أيمن : «الإنسان بغير الله أتفه من ذرة غبار» .

وأيمن فى آخر القاعة وصلت إليه كلمات من جده : «على الحياة أن تكون جهاداً متصلا» .

فى طريق أيمن للنوم ، كان صوت الجد العميق يتردد فى داخله. نفسه المضطربة نسجت حلما ثقيلا فى نومه المضطرب، رأى نفسه جالسا على صخرة ، والظلام يحيطه ، وهو يتلهى بالموبايل وألعابه ، وصوت أنين يملأ الأفق كان صوت حسام، وصوت عذب ينادى عليه كأنه يحذره من شىء .. كان صوت مس مها .

وقف أيمن فى الحلم مستطلعا ، فلم ير حسام ، قرر الهرب ، وجرى لكن صوت مس مها كان يحذره من السقوط . وسقط من الصخرة إلى الأعماق، كانت حركة السقوط بطيئة وثقيلة ، وهو على وعى بأنه سيرتطم بالصخور فصرخ مستغيثا .

واستيقظ أيمن مفزوعا ، وسقطت أشعة الضياء على عينيه إنه الصباح ، وعليه أن يذهب إلى المدرسة ، فحاول ادعاء المرض ، لكن أمه أصرت .

وليتها لم تصر .

٣ - المديرة ثناء

بالرغم من برودة الجو التى سلبت من شعاع الشمس حرارته ، وصلت الأستاذة ثناء إلى المدرسة مبكرة كعادتها، فهى مديرة حازمة منضبطة .

والحياة لاتستقيم عندها إلا بمنظومة الأخلاق الفاضلة ، وتؤمن بأن القوة هى التى تكفل النظام فى المدرسة ، بل فى الكون كله، وبدون قبضة قوية ينفرط العقد ، ويسود العبث .

رأت الفراش صابر جالسا بجانب الباب الحديدى .

وقف بسرعة محييا : صباح الخير يا حضرة المديرة .

– صباح النور يا صابر ، كيف كانت الرحلة ؟

لمحت ابتسامة خبيثة تنتشر فى وجهه ، وقال ستحكى لك الأستاذة وداد.

«ابتسامتك تشى بشىء كريه» . هذا ما أدركته المديرة ، لكنها تماسكت ولم تظهر أى انفعال ، بل وسألته بلهجة محايدة : وهل حضرت المشرفة وداد ؟

– نعم ، إنها فى انتظارك .

فى مكتب حضرة المديرة أسرت وداد لها بما حدث ، وهى تضخم من الحدث ، وتلونه بالانفعالات الساخنة ، وتكسوه بالعواطف الجياشة . وأوضحت تراخى مها وتسيبها وضعفها .

اتشح جبين المديرة بالجمر، وشعرت بالنار تصفر حولها ، وأن هناك من يهدد منظومة الأخلاق المحكمة، وعليها أن تعيد الأمور إلى نصابها .

وقفت فى طابور الصباح، وقفة قائد يتأهب لمعركة فاصلة . ونادت فى الميكروفون بصوت مشحون بالغضب : التلميذ أيمن كمال فصل رابعة أول ... يتقدم خطوة للأمام .

تقدم أيمن للأمام وهو يرتعش .

أدركت مها قدوم العاصفة ، وأخذت تشير بيدها بعلامة الرفض ثم أسرعت نحو المديرة فى محاولة لإيقافها .

لكن صوت المديرة انطلق فى الفضاء من خلال الميكروفون أيمن كمال لص ، سرق موبايل حسام وهذا يثبت أن الأخلاق لا تعتمد على الفقر

والثراء ، ولكنها تعتمد على التربية «وإنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا».

شبكة أعصاب أيمن اهتزت ، ففقد السيطرة على مثانته ، وبلل سرواله واكتسى وجه أيمن بألوان الخزى والعار ، وشعر بألسنة من النيران تحاصره وفقد الإحساس بالمرئيات ، وجرى هاربا وهو يبكى ويرتعش ويصرخ .

★ ★ ★ ★

دخلت مها إلى مكتب المديرة ثناء ، وسألتها بقوة : ماذا فعلت ياحضرة المديرة ؟

وكأن المديرة تدافع عن نفسها فقالت : أنت السبب يا مها .

- أنا ؟!

- نعم ، أنت برقتك وتسيبك ستفسدين التلاميذ .

- اسمعى ما حدث يا حضرة المديرة .

وقصت عليها ماحدث .

ولم يقنع حديثها المديرة ، وقالت لها هل تنكرين أنه لص ؟

- إنه طفل يا حضرة المديرة .

- طفل أثم يا حضرة المربية .

- إنه جاهل بقدر ما هو أثم .

- لا أفهم عليك .

- الأطفال .. كل الأطفال لديهم رغبات تملك قوية .

- نعم ، لكن الأخلاق والتربية توقفهم عند حدودهم .

- يحتاجون إلى التبصير والتوضيح وتفهم نوازعهم .

- نهاية الكلام ، هذا لص والإسلام يأمرنا بقطع يد اللص .

- الإسلام يأمرنا بتهذيب أطفالنا أولا. فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : لاعبهم سبعاً ، وأدبهم سبعاً وصاحبهم سبعاً ثم أطلق لهم العنان .

فنحن فى مرحلة التهذيب وغرس القيم بالحسنى .

توقفت المديرة عن الكلام ، وقد شعرت بأن شعاعا من الحنان يتسلل إلى قلبها ، وسألت مها : هل تعتقدين أنى أسأت للولد ؟!

- إساءة بالغة يا حضرة المديرة .

- ولكنه لص .

- قلت لك إنه جاهل بقدر ما هو أثم ، وأنا عالجت الموقف معه وانتهى الوقف بسلام ، أنت لاتدرين ماذا فعلت بنفسية هذا الولد .

- أنا كنت أرغب فى تجسيم الخطأ له ، لينتهى عن هذا الفعل .

- ينتهى عن الفعل ، لكن لايتحطم ، والقانون لايعاقب إلا من بلغ الرشد، وأدرك الأمور ، أما الأحداث فيعمد إلى علاجهم نفسيا واجتماعيا .

شعرت المديرة بأنها أخطأت ، ولكنها تعرف أنها لن تتراجع ، فالأخلاق فى نظرها نظام مقدس يجعلنا جديرين بالحياة .

زفرت بعمق ، وقالت : وما العمل يا مها ؟

- سأذهب أنا إلى أيمن فى بيته ، وسأحاول إطفاء النيران .

- نيران ؟!

- نعم هل تظنين أن أسرته لن تتحرك .

غمغمت ثناء وهى تشعر بفداحة الأمر : إن والده محام.

قامت مها ، وقالت : أرجو أن يوفقنى الله .

همست المديرة : وأنا أيضاً .

★ ★ ★ ★

قصت مها ما حدث على أبيها ، نظر إليها طويلا ، وقال :

- لا أنصحك بالذهاب الآن .

- لماذا ؟

- انتظرى حتى تمر عاصفة الانفعال .

- انتظارنا قد يزيد أسرة أيمن اشتعالا

- على الأقل .. انتظرى حتى الغد .. ليكتسى جمر الانفعال برماد التمهل .

٤ - العاصفة

امتلأت ماجدة بشحنة من الغضب ، وهى تستمع لابنها أيمن . من خلال دموعه وشهقاته قص حكاية مرعبة عن سلوك المدرسة مها التى رأته يمسك موبايل حسام الذى وجده تحت الشجرة ، ووقف يفحصه على أن يعيده إلى صاحبه ، رأته الأبلة مها واتهمته بسرقة الموبايل ، ولم تستمع إليه ، ونقلت أوهامها إلى المديرة التى نددت بإبنها فى الميكروفون واتهمته باللصوصية أمام كل التلاميذ .

ابنى أنا لص سرق موبايل من تلميذ آخر ؟! هل يعقل هذا؟! نحن أثرياء نمتلك قصرا وعزبة وسيارات وعجولا ودواجن ، من يماثلنا ثراء فى تلك البلدة البائسة ؟

يجب على زوجى المحامى كمال أن يذهب للمديرة ، الأفضل أن يرفع عليها قضية . لا .. يجب أن يرفتها ، وتلك المدرسة المدعوة مها ، كنت أظنها مربية فاضلة. إن زوجى كمال غير موجود فى البلدة ، لقد سافر إلى أسيوط للاتفاق على إحدى الصفقات ، فهو الذى يدير كل شىء فى القصر والعزبة والأراضى . كانت جالسة فى الشرفة ، وهى تستمع لابنها الذى قص عليها قصتة من خلال وجدانه المشوه ونفسيته المرتبكة .

نادت خادمتها لتحضر لها كوبا من اليانسون والنعناع لتهدىء أعصابها.

رأت الدكتور عماد (أخا زوجها الكبير) يركب سيارته .

نادت عليه ، فبادرها بالتحية:

- صباح الخير يا أم أيمن .

- صباح الخير يا دكتور عماد .. إلى أين أنت ذاهب ؟

- إلى المستشفى .

- أريدك لمدة دقائق .

استمع الدكتور عماد إلى ما قصته ماجدة ، وامتلأ غيظا ، وشعر برغبة كبيرة فى تحطيم شىء، وقال :

- سأذهب إلى هذه المديرة ، وأرى تلك المدرسة .. ماذا قلت اسمها ؟

- مها .

- لن أتركهما .. سأريهما قدرهما .

- لايكفى ، يجب فصلهما .

- فعلاً .. يجب فصلهما ، هذا يتوجب أن ننتظر أخى كمال .

فى اليوم التالى وجف قلب مها عندما لم تر أيمن ، وأيقنت بأن العاصفة ستهب.

خلال الفسحة الصغيرة ، استأذنت مها من المديرة للذهاب إلى قصر أيمن خاصة وأنه قريب جدا من المدرسة .

قالت المديرة بصوت منخفض : من الأفضل أن ننتظر مجيئهم .

- لعلهم يقدرون ذهابى إليهم ويهدىء انفعالاتهم ، وأصل معهم إلى تسوية .

- كما ترين .

خطوات قليلة إلى القصر المقام وسط المزارع على مساحة كبيرة من الأرض المزروعة .. قصر الحاج صقر .قصر قديم .. له شهرة كبيرة .. صاحبه الحاج صقر كان يعمل وكيلا لعزبة طوسون باشا التركى .. الذى طرده جمال عبدالناصر وفرض عليه الحراسة ، ثم قدم الحاج صقر أوراقا للجنة فك الحراسة تثبت ملكيته للقصر ، وفاز به .. بمساعدة ضابط فى عهد أنور السادات . والباشا التركى باع القصر للحاج صقر بثمن زهيد تقديرا لأمانته. هذا تاريخ متداول فى البلدة ، كما دار فى خيال مها .. كأنها تهدىء نفسها .

قابلتها ماجدة بوجه جامد ، وهرب أيمن عندما رآها .

تمالكت ماجدة أعصابها ، ثم بدأت فى الهجوم على مها . ومها تحاول أن تستمع إليها .. لتفرغ انفعالاتها ، ثم تحدثها بهدوء عما حدث .

.. لكن الانفعال غلب ماجدة .

فصبت حمم انفعالها على مها ؟

ومها تتذرع بالصبر ، وتسأل :

- أين أيمن ، نادى أيمن .. سيذكر لك الحقيقة .

- أيمن !! يكفى ما أصابه منكم.

فى هذه اللحظة ظهر الدكتور عماد، وتوقف بسيارته عندما عرف من الخادمة بوجود المدرسة مها .

دخل الدكتور عماد إلى الصالون ، ووجه كلامه غاضبا: إلى مها

- كيف تجرأت على المجيء إلى هنا بعد ما فعلته ؟

- ماذا فعلت ؟ ومن حضرتك ؟

- أنا الدكتور عماد عم أيمن .

- أهلا يا دكتور .. ألا تستمع لما حدث أولا .

- ماذا لديك من أكاذيب ؟!

- هكذا حكمت قبل أن تسمع ، ولم تراع أنى فى بيتكم ، وأنى جئت للسلام .

- أى سلام .. أنا سأعمل على فصلك أنت والمديرة المجرمة .

وقفت مها ، وقالت بعتاب ، وهى تنظر بقوة إلى عينى الدكتور عماد:

- كيف تكون إنسانا مثقفا وتنطق بألفاظ غير مهذبة ، وتحكم من طرف واحد .. أين الثقافة العلمية ؟ والنظرة الموضوعية للأمور ؟!

وخرجت مها مرفوعة الرأس ، وحرصت على أن تكون خطواتها منتظمة.

شعر الدكتور عماد أن هناك خطأ ما وقع فيه، وأن هذه المدرسة خاطبت شيئاً قويا فى شخصيته، وأن عينيها تشعان ثقة فى النفس ، وألقا آسرا .

★ ★ ★ ★

استرجع الدكتور عماد كلمات مها كثيرا ، فبعثت فى وجدانه أطياف قلق. وطارده طيفها ، وعند عودته فى المساء ، استدعى أيمن ، وهش له وسأله عن مها

– هل هى محبوبة من التلاميذ ؟

– نعم .

– هل تجيد شرح دروسها ؟

– نعم .

– هل أنت تحبها ؟

– نعم .

صمت أيمن ، وقد شعر أنه انزلق إلى منطقة مربكة .

سأله الدكتور عماد : وهل هى تحبك ؟

تردد أيمن كثيرا ، ثم قال : نعم .

شرد الدكتور عماد قليلا ، ثم قال : لابد أنها تحبك ، وإلا لماذا حضرت إلى القصر ؟

قال أيمن : لا أدرى .

– هل جاءت للاعتذار عن سلوكها ؟

– ربما .

دقق الدكتور عماد النظر فى وجه أيمن ، ولمح تقلص شفتيه ، كما لاحظ أن عينيه غائمتان .

سرى فى داخله شعور بأن أيمن يكذب ، وإلا ما سبب هذه الرعشة فى الصوت .

كما أنه تذكر كلمات مها ، وخطواتها الواثقة ، فرأى أن يذهب إلى المدرسة فى اليوم التالى ليستوضح الأمر .

★ ★ ★ ★

شعرت المديرة ثناء بنذير العاصفة عندما سمعت اسمه حاولت أن تبتسم،

ودعته للجلوس ، دقت الجرس ، وطلبت كوبا من الشاى له .

وقالت له بلهجة رقيقة خير يا دكتور عماد ؟

- أنا عم التلميذ أيمن كمال .. فصل رابعة أول .

- آه ..

وقالت متجاهلة مايثيره الاسم من مشاعر الارتباك :

- لماذا لم يحضر ؟

- يحضر .. بعد أن اتهمته المدرسة مها بالسرقة .

قالت مستنكرة : مها ؟!

- وأبلغتك بالحادث بشكل مشوه .

- مها ؟!

- وشوهتوا مشاعر الولد .

- مها ؟!

- ألا تعرفين ؟!

انحسرت العاصفة ، وتكسرت الرياح على صخرة بعيدة .

قالت له أنت تظلم مها .

دخل العامل بالشاى .

قالت ، وهى تشعر بالارتياح : الأبلة مها عالجت الموضوع بشكل تربوى، وهدأت من مشاعر أيمن ، وكذلك مشاعر حسام .

- من حسام ؟

- الولد صاحب الموبايل .

- لكن أيمن يقول غير ذلك .

- أنت تعرف أن الأطفال يكذبون ، ويروون الحكاية ملونة برغباتهم ، ومشاعرهم ، وبالتأكيد مشاعر أيمن غير صافية .

- لماذا ؟ .. هل هو سرق الموبايل فعلا ؟

- نعم ، «وهنا تذكر الدكتور عماد «أشياء» ، ثم سأل

- ما دور مها بالضبط ؟

- هى ادعت أن أيمن كان يفحص الموبايل ليشترى مثله ، وأنه أعطاها الموبايل الذى وجده عند الشجرة .

- هى فعلت ذلك ؟

- نعم .

«هذا يفسر كلامها ، ونظراتها ، وخطواتها الواثقة» .

- لكن أنت .. اتهمته فى الميكروفون باللصوصية .

- هذا حدث ، لأنى أردت تحذيره من الهاوية التى يتردى فيها .

- إذن أنت ..

قالت بسرعة : مخطئة .... لكن دافعى هو حسن النية .

- هل أنت أرسلت مها إلينا فى القصر ؟

- لا .. هى التى أصرت فى محاولة لاحتواء الموقف .

تغلغل الندم حتى جذور قلبه. وقال بصوت ندى : أريد أن أعتذر للأستاذة مها .

ارتاحت أعصاب الأستاذة ثناء لسكون العاصفة. وقالت له هى لم تأت، وأنا سأبلغها ، ودع ابن أخيك يأتى إلى المدرسة، وسننسى جميعا ماحدث.

★ ★ ★ ★

فى طريقه للخروج رأها قادمة ، شعر بتيار دافىء يتسلل إلى داخله ، ابتسم لها، وقال

- صباح الخير يا أستاذة مها .

- نظرت إليه بتعجب ، وقالت بصوت خافت

- صباح الخير .

قال آنا عرفت دورك ، وأسف لما بدر منى ، وأدعوك لزيارة القصر اليوم.

- أسفة

- أريد أن أراك .. حتى ولو فى العيادة لأكرر اعتذارى وأتحدث معك بشأن أيمن .

- أنا قبلت اعتذارك ، ولكنى لن أذهب إلى أى مكان .

وتكسرت نظراته على أعقابها ، وهى تدخل المدرسة بخطى واثقة .

٥ - حنين فى المساء

طيفها لايفارقه ، هذه المدرسة تشع رقة وعذوبة ، والأهم أنها نموذج للثقة فى النفس . صوتها هادىء ورقيق وقوى، وخطواتها واثقة ومستقيمة .

سؤال مفاجىء خطر فى ذهن الدكتور عماد .. هل هى متزوجة ؟!

دفء وليد يسرى فى داخله ، فتحول إلى كائن شفاف .

لم يجد فى عيادته سوى مريضين ، أنهى كشفه بسرعة ، وقرر أن يذهب إلى بيت مها ، شعور قوى يدفعه لذلك ، لماذا يذهب ؟ للاعتذار لها ، ألم ينته الموقف ؟! لا .. هناك ظلال كثيفة تحتاج إلى أضواء كاشفة ، ماهى هذه الظلال ؟ لا أدرى .. أريد أن أراها وكفى. وصل إلى البيت ، وضغط على جرس الباب .

خرج والدها ، تفرس فيه متسائلا .

قال مترددا أنا الدكتور عماد صقر عم أيمن ، وجئت لمقابلة الأستاذة مها .

- ماذا ؟!

قال مضطربا أنا الدكتور عماد صقر ..

- تفضل .

فى حجرة الصالون .. جاءت الأم مرحبة ، قدم الدكتور عماد علبة شيكولاتة أحضرها معه ، وقال لها : جئت لمقابلة الأستاذة مها .

- أهلا بك .. لكن ما السبب ؟

قال الرجل لزوجته : أحضرى شيئا لجناب الدكتور .. أهلا يا دكتور .

- أهلا بك ياعمى .

- ما تخصصك يا دكتور ؟

- مخ وأعصاب .

تذكر الرجل نوبات النسيان التى يعانى منها ، فازداد ترحيبه بالدكتور .

- أهلا ... أهلا .. بك .

جاءت مها مسربلة بالحياء والارتباك ، حاولت أن تلملم شظايا ثقتها فى نفسها ، لكن موجة من المشاعر تهدر فى داخلها فتهز أمنها وثقتها .

وقف محييا ، وأسرع بالقول : جئت معتذرا عما بدر منى فى القصر .

- ولكنك اعتذرت .

- كان اعتذارى أضعف من ذنبى .

كلماته بعثت تيارا من الحنان الرائق فى داخلها :

- لاتبالغ يا دكتور .. المهم أن يعود أيمن إلى المدرسة .

تساءل الأب : أيمن ؟!

مها : نعم .

نظر الأب فى حيرة إلى الاثنين ، وشعر أن الموقف أكبر من إدراكه. أنقذته الأم عندما دخلت بصينية تحمل أكواب عصير .

- تفضل يا دكتور .

- أشكرك يا حاج . أرجو أن تساعدنى فى إقناع الأستاذة مها لتعطى درسا لأيمن ابن أخى .

- درس ؟!

- نعم فالولد ضعيف .

- هو ابن أخيك ؟

- نعم .

- وأين والده ؟

- منشغل دائما .

ردد الأب بلهجة ذات معنى ؟ ولذلك فالولد ضعيف .. ما رأيك يا مها ؟

- أنا أهتم به فى المدرسة .

قال الدكتور ولكنه يكره المدرسة .

سألت الأم لماذا ؟!

- حدث تصرف غريب ... من ناظرة المدرسة .

تدخلت مها بسرعة وقالت : أنا كفيلة بإصلاح الموقف .

- لماذا لا تأتين إلى القصر وتقنعين أيمن بذلك ؟!

- لا ... لا أستطيع .

- لماذا ؟

- أقترح عليك أن تحضره إلى المدرسة صباح غد ، وأنا سأذهب معه إلى المديرة .

- متى ؟

- العاشرة صباحا .

- إذن نتقابل غداً .

★ ★ ★ ★

قابل السيدة ماجدة زوجة أخيه ، ونظراته تسيل حنانا ، وفى داخله دفء لم يعاينه من قبل . وقال لها : غدا سأذهب مع أيمن إلى المدرسة .

قال الكلمات ، وكأنه يغنى أغنية مشحونة بالعاطفة .

سألته ماذا حدث ؟

أخبرها بأنه ذهب إلى المدرسة ، وقابل المديرة والمدرسة ، واعتذرتا عن موقفهما ، وقرار المديرة معالجة الموقف بشكل يحافظ على كرامة أيمن .

لم ترض السيدة ماجدة بذلك ، وأبدت اعتراضها ، ورأت ترك المسألة لحين عودة زوجها . لكن الدكتور عماد بذل مجهوداً فى إقناعها حتى قبلت .

فى حجرة نومه ... هاجمته مشاعر غريبة ، وركضت الأحزان كالسحب

فى صحراء قلبه ، تذكر زوجته الراحلة ، وتذكر طفليه اللذين يعانيان من التخلف العقلى ، وتذكر مرضه المزمن .

انهمرت الذكريات كالمطر ، وغشيته سحابة سوداء من الذكريات أورقت فى داخله أدغالا حزينة من المشاعر .

استدعى صورة مها ... وكأنه استدعى موجة من الضياء لتبديد سحب الذكريات السوداء ونام متعجلا الصباح ليراها .

٦- اللقاء

قطرات الندى تتلألأ فوق المزروعات الخضراء ، ومازالت بعض السحب البيضاء تداعب شعاع الشمس الذهبى .

قلبها يبتهج من هذا المنظر ، والفرح يتسلل من كل مشهد جميل. وقلب الدكتور عماد ابتهج عندما رآها ، وهتف بشكل تلقائى : مها جاءت .

ونظر إلى أيمن ، وقال له : هيا انزل من السيارة لتقابل مدرستك. نظر أيمن إليه بفتور .

فتح الدكتور عماد باب السيارة ، ووقف بجانب أيمن ... ونظراتهما مصوبة نحو مها .

همست مها لهما صباح الخير .

رد الدكتور عماد بحماس : صباح الخير .

واقترب منها ، وتهامس الاثنان، ثم دخلت مها إلى المدرسة وعاد الاثنان إلى السيارة .

دخلت مها حجرة المديرة ثناء ، وحيتها ، وأغلقت الباب وقالت لها التلميذ أيمن وعمه الدكتور عماد خارج المدرسة.

وجف قلب المديرة اضطرابا ، وسألت : ثم ماذا ؟!

قالت مها ستقومين بعمل تربوى يعيد التوازن لنفسية أيمن .

سألتها المديرة : ماذا تقترحين ؟

- سأقول لك .

★ ★ ★ ★

خرجت مها إلى حيث سيارة الدكتور عماد ، وتهامست معه قليلا ثم أمسكت بيد أيمن ، وعادت به إلى المدرسة . ونظرات الدكتور عماد متألقة بالفرح ، وهو ينظر فى أعقاب مها لكن هناك خواطر حزينة تسللت إلى أعماقه، واستقرت فى حجرة الأحزان ، فرأى أن ينصرف .

★ ★ ★ ★

فى طابور الصباح وقفت المديرة ثناء أمام الميكروفون ، وحيت التلاميذ ، ثم قالت : أحيى بشكل خاص التلميذ أيمن كمال التلميذ بالصف الرابع ، وأنا أعتذر عما قلته عنه سابقا ، فقد اتضح لى أنه برىء ، وأنه قد وجد تليفون حسام ، وقدمه للأبلة مها التى قامت بدورها برده لصاحبه ، وعلينا أن ننسى هذه الحادثة ولكنى أحذركم من السرقة ، وأوصيكم بالأمانة ، وهى صفة يتصف بها كل إنسان شريف ، وهى أيضا كانت صفة لصيقة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد كانت صفته الصادق الأمين .

★ ★ ★ ★

فى الفصل لاحظت الأستاذة مها أن أيمن يهرب بنظراته بعيدا عنها ، وأن الولد يحرص على عدم وجود احتكاك بصرى بينهما .

كانت تختلس النظرات إليه فرأته يهرب بنظراته من الجميع .

حالة الخجل والانكسار تتلبسه .. فكيف تخرجه من هذه الحالة ؟ وتعيده إلى الاتزان النفسى ؟!

هذا السؤال طاردها طوال اليوم ، وقررت أن تترك الأمر للزمن .. فهو خير علاج لجروح النفس .

★ ★ ★ ★

فوجئت مها بعدم مجىء أيمن فى اليوم التالى . أقام طيفه فى دهاليز

ذاكرتها طوال اليوم .

★ ★ ★ ★

وقت الغروب قررت أن تذهب إلى القصر ... قصر الحاج صقر. استقبلتها السيدة ماجدة بترحاب ، ونادت على أيمن ، جاء منكس الرأس قبلته ، وسألته بود : لماذا لم تأت اليوم ؟! كل الفصل سأل عنك .

وجاء الدكتور عماد ووجهه يطفح بالسرور ، وقال : لا فائدة يا أستاذة مها .. لابد من وجودك معه .

- وجودى معه ؟

- نعم أنت حصن الأمان له .

- أنا ؟!

- نعم يجب أن تعطيه درسا لنراك كل يوم .

تساءلت بدهشة : نعم ؟!

- قصدى .. وجودك معه يوميا سيزيل عنه كل توتر نفسى أنا طبيب أعصاب ، وأعرف ما أقول .

أسرعت السيدة ماجدة بالقول :

- يجب أن توافقى يا أستاذة .

تساءلت مها بتعجب : يجب ؟!

أسرع الدكتور عماد بالقول : قصدنا يسرنا أن توافقى على إعطائه درساً .

صمتت مها قليلا ، ونظرت إلى أيمن فوجدته حريصا على عدم الاحتكاك البصرى معها، فسرت فى داخلها أحاسيس ضاغطة فأعلنت موافقتها .

فى صباح اليوم التالى ، وجدت مها الدكتور عماد وأيمن فى السيارة أمام المدرسة. خرج الدكتور عماد وهو ممسك بيد أيمن ، وقال لها

- صباح الخير .

- صباح الخير .

- نحن فى انتظارك .

- لماذا ؟

ابتعد بها وقال هامسا

– أيمن .. مازال يرفض المجيء للمدرسة ، وأنت الوسيلة الوحيدة لإعادته لحالته الطبيعية .

– لكنه يجب أن يعتمد على نفسه ، ويواجه الموقف بشجاعة .

– هذا دورك ... لتوصيله لهذه الحالة .

★ ★ ★ ★

أخذت أيمن معها ، وأمسكت بيده ودخلت المدرسة ، ونادت على تلميذ فى فصله ، وسألته عن شيء ما ، وقالت له حيى أيمن.

– صباح الخير يا أيمن .

– صباح الخير .

قالت مها لهما هيا .. اذهبا للطابور .

وفى الفصل حرصت مها على أن توجه أسئلة سهلة لأيمن متأكدة من أنه يستطيع الإجابة عليها وعندما أجاب .. طالبت الفصل بالتصفيق له .

٧ - أيمن وأمه

(مهاتحكى)

بعد العصر، أشعة الشمس وانية، الطريق إلى القصر ممتلىء بالحقول. المزروعات تثير البهجة فى روحى، خوار جاموسة يخدش السكون. عينا طفلة تتأملنى بانبهار أشعرنى بذاتى .

سور القصر يحيط المكان بمها من الأسرار والتميز. هذا السور يفصل عالما كاملا عن الصورة المحيطة به . عالم كامل من الأشجار العملاقة، والمزروعات المترامية، والمبانى المميزة. فرحت عندما رأيت طيور «أبو قردان» البيضاء فوق قمم الأشجار.

قابلتنى السيدة ماجدة، وهى مرتدية ملابس فاخرة، وعقد من الألماس يتلألأ فى رقبتها، وكم من الأساور الذهبية تحيط بيدها .

الأساور الذهبية متناقضة مع الألماس الرقيق .

رحبت بي السيدة ماجدة كثيرا .. صوتها مرتفع، طبقة الصوت عالية تدل على أنها تربت فى جو طليق، وهى فى الغالب فلاحة غير متعلمة يتضح هذا من ألفاظها، وثرثرتها، هى تتكلم كثيرا .. كأنها تريد أن تخبىء شيئا .

لأتخلص من ثرثرتها سألتها

- أين أيمن ؟

- فى حجرته .

وقبل أن أتحرك، جاء الدكتور عماد، علامات السرور تتقافز فى وجهه، وقال :

- أهلا يا أستاذة .

- أهلا بك .

ماذا به هذا الطبيب ؟! أين زوجته؟ وأطفاله؟ .. هل هو غير متزوج؟ كم عمره؟ إنه على مشارف الخمسين، وعمرى أصغر منه بعشر سنوات . لماذا أقيس عمرى بعمره؟ هل حلم الزواج مازال يداعبنى ؟

ابتسمت له قائلة : أهلا بك يا دكتور .

قال بصوت دافىء : كنا ننتظرك بشوق .

شعاع أفلت من نظرة ماجدة، قد تكون هذه السيدة ذكية .

لأتخلص من الموقف سألت ماجدة بسرعة: أين حجرة أيمن ؟

نظرت ماجدة إلى الدكتور عماد، وكأنها تعلنه بنهاية الموقف، وابتسمت لى ابتسامة واسعة وقادتنى إلى حجرة أيمن .

الحجرة واسعة بها سريران، ودولاب كبير، ومكتب، وكرسيان، وتسريحة بمرآة كبيرة مما تخص السيدات.

صافحت أيمن، وقلت للسيدة ماجدة سأبدأ الدرس .

قالت بصوتها العالى : فهمت .. سأنصرف .

لاحظت وجود دراجة بموتور بجانب الدولاب .

سألت أيمن : هل هذه دراجتك؟

أجاب بفخر : نعم، وأنا الذى ركبت لها الموتور .

- وأين لعبك الأخرى ؟

قال بصوت غريب، ورأسه منكسة: ليست لدى لعب.

نظرت إلى التسريحة والسريرين، وسألته من معك فى هذه الحجرة ؟

- ماما .

- ماذا لك أنت فى هذه الحجرة ؟

- السرير والمكتب وجزء من الدولاب .

وجدت الدولاب مغلقا، سألته هل تمتلك مفتاحاً لهذا الدولاب؟

قال بفخر، وهو يظهر المفتاح طبعا .

أخذت المفتاح منه، وأنا واقعة تحت تأثير فضول قوى لأعرف محتويات دولابه لأتعرف أكثر على شخصيته . وما أن هممت بفتح الدولاب حتى تغير وجه أيمن وصاح غاضبا ومحذرا: يا مس !!

تجاهلته وفتحت الدولاب، فوجدت كمية من الألعاب .. دب، سيارة كهربائية، وقرد ، وعدداً آخر .

صمت، وأغلقت الدولاب، ولم أعلق، وبدأت الدرس مع أيمن والولد نهب للانفعال، حكيت له حكاية مضحكة لأعيده لهدوئه لكنى لاحظت أن الولد ذو ذكاء محدود، وهناك شيء يمنعه من التفكير والتواصل معى، حواجز صلبة تحيط بشخصيته وتمنعه من الانطلاق، هو دائما فى حالة انتظار لما يقوله الآخرون، وعندما أسأله سؤالا أجده ينظر إلى بخوف وترقب وتتقطع أنفاسه وكأنى وضعته على حافة الهاوية، فأجيب أنا بسرعة لكى أنقذه من حالته هذه، فألاحظ ارتخاء جفنيه ارتياحا .

أدركت أن الولد غير طبيعى، وداء السرقة والكذب مظهر لذلك، كما أنه فاقد الثقة فى نفسه، ويحتاج منى إلى بث الطمأنينة فى روحه، والوصول لأعماقه لأحرره من القيود التى تكبل شخصيته .

فى طريقى للانصراف، وجدت الدكتور عماد واقفا بجانب سيارته وقال

لى تعالى يا أستاذة لأوصلك إلى بيتك .

قلت : شكرا .. أحب أن أمشى .

ابتسم قائلا الوقت مساء، والطريق غير مأمون .

لأتخلص من إلحاحه أنت تعرف تقاليد البلدة.

قال بثقة : كل ما أعرفه أنك مسئولة منى .

ظهرت السيدة ماجدة، وقالت إنها مسئوليتى أنا.

ركبت مع السيدة ماجدة التى انطلقت فى الكلام متسائلة عن أيمن ومدى استجابته للتعليم، كما أنها لا تثق فى قدراته بالرغم من حبه للعبث فى الأجهزة الكهربائية، وهى لا تعرف ماذا تعمل معه، سألتها

- أين والده؟

- فى أسيوط .

- قصدى أين دوره ؟

- والده دائما مشغول، فهو المسئول عن كل شىء .

- ماذا تعنين ؟

- هو المسئول عن المزارع والمشاريع والتسويق .

- والدكتور عماد؟

صمتت قليلا، ثم قالت : إنه مشغول بعيادته.

تنبهت إلى أن الدكتور عماد يتبعنا بسيارته .

سألتها بخجل :

- هل هو متزوج ؟

- زوجته ماتت .

- آه !!

- ماذا ؟

- لا شىء .

وحمدت الله أن السيارة وصلت إلى بيتى.

٨ - مهاتتصدرالمشهد
(خواطرالدكتورعماد)

أبخرة الماضى تتكثف فى دهاليز الذاكرة.

زوجتى كانت الزهرة الرقيقة اليانعة فى حديقة قلبى الجرداء. نغم يورق فى روحى أزهار الياسمين. بحنانها مسحت جميع سحب الكدر التى ملأت أفقى . فأنا الطبيب المتميز .. طبيب المخ والأعصاب أب لطفل وطفلة متخلفان.

زوجتى حرصت على أن تكون مصدرا للبشر والسماحة . تتلقانى ببسمة حانية .. وكأنها تعتذر عن إنجابها للطفلين .

عدت مرة أخرى للعلم، وقررت تشريح المخ من جديد، والبحث عن سر تكويناته، والبحث عن الخلايا المتحكمة فى الذاكرة والإرادة والتفكير. أصبح لى معمل خاص فى القصر، ومكتبة متخصصة فى أمراض المخ .

أحاول الوصول إلى الكروموسوم حامل جينات التخلف .

استغرقتنى الأبحاث، حتى أفقت على رحيل زوجتى .

برحيلها فقد بيتى مناخه النقى، ومرحه الأصيل .

تدلت عناكب الوحشة من سقف الليالى، وغرس الحزن راياته السوداء فى سهول قلبى .

ظهر أبى فى حياتى بكثافة، حاول أن يبعث نسيم السكينة إلى حياتى مرة أخرى . قال لى :

- حصن ذاتك المزعزعة بالإيمان .

قلت له

- كانت هى مصدر الإشعاع والعذوبة فى حياتى .

- المهم أن تنعم بمزايا حياتك المتاحة .

- لا شيء متاح لى .
- هذا نكران لنعم الله التى لاتحصى .
- أين هى هذه النعم ؟
- النظر ، العقل، أطفالك.
- أطفالى ؟!
- نعم .
- هم سر بلائى .

وضع يده على كتفى وقال بصوت عميق :

- لا تكفر يا بنى؛ وكن حكيما فالحكمة تخفف من ويلات البشر، وتذكر أن هناك هدفاً لما يحدث لك وإن عز عليك إدراكه .

إن أبى رجل متصوف انعزل عن الحياة بعد أن ارتوى من كل كئوسها، وتعطلت أجهزة الاستقبال عنده، وأصبح يفلسف العجز، فهو كثيرا ما يقول لى

- إنهم يلقون بزيتك على الأرض، ويسرقون شرابك، قل لنفسك : إنه بهذا الثمن نشترى السلام الداخلى وننجو من الاضطراب .

ويقول لى، وهو ينصرف إلى مكان عبادته وعزلته :

- كل نعيم دون الجنة يسير .

وكل بلاء دون النار تافه وصغير .

وقال لى مرة أخرى : قد يكون موت زوجتك هو انتهاء فصل، ومقدمة لفصل أخر فى حياتك .

- ماذا ؟!

- نعم الحياة تيار متجدد .

«المنعزل عن الحياة، يتحدث عن تجددها»؟ هذا تأثير كتب التراث التى يقرأها.

وظهرت مها فجأة، كأنها شعاع شمس ظهر وسط سحب متزاحمة تسد

وجه الأفق. نظراتها المتألقة تطارد غيوم الشجن التى تملأ قلبى .

نظراتها الراسخة الواثقة تجذبنى إليها بقوة . لكن حذارى يا دكتور لا تكن أنانيا، فلتبعدها عن حياتك اليائسة ولتعش عذابك بشموخ وكبرياء.

قد تكون هى الفصل الثانى فى حياتى .

لقد عرفت طريقة تعاملها مع أيمن، إنها تهدهده، وتدخل إلى روحه الاطمئنان، دائما أسمعها تشجعه، وتستخدم معه كلمات (أنت تعرف، أنا متأكدة أنك تعرف) وأحضرت له كثيرا من مجلات الأطفال، واعترضت السيدة ماجدة قائلة: إن هذا سيشغله عن المذاكرة .

طمأنتها الأستاذة مها ، وقالت لها : الهدف أن يتحرر عقله من قيود الخوف والحذر .

أنا أراقبها بشغف لأنها ترسم الطريق لى فى معاملة طفلىّ .

كانت تسأل أيمن عما أعجبه من المجلات وقصصها وألغازها، وتطالبه بأن يحكى لها، اكتشفت أن أيمن يتلعثم فى الكلام، وينهج كثيرا، هى كانت تبتسم له، وتنصت له باهتمام، وتوجه إليه أسئلة سهلة، وتصفق له عندما يجيب وتقبله .

من تكون هذه الأستاذة ؟! هل هى هابطة من السماء؟! هل هى طائر من نور ؟! كيف تمتلك كل هذا الحنان ؟! وأيضا كل هذه الثقة ؟ .. إنها هدية السماء لى .

مهلا يا دكتور !! .. هل نسيت نفسك ؟! بينكما فوارق طبقية ومادية وعلمية .

فلتطو جراحك، وتتذرع بالصبر، ودع المقادير تجرى فى أعنتها .

فقط .. اقترب منها .. ويكفيك رعشات الحب الصافية التى تسرى فى قلبك عند رؤيتها ، ولم تعاينها من قبل .

٩ - خطوات الأستاذة
(رواية مها عن أيمن)

شرحت درس حساب لأيمن. ولاحظت أنه بدأ يسأل ويتفهم وأعطيته مسألة سهلة، حلها بسرعة، قلت له :

- أنت تستحق مكافأة .. هيا اطلب أى شىء منى .
- احكى لى حكاية .
- هل قرأت قصة الأمير الضفدع ؟
- نعم قرأتها .
- ما رأيك ؟
- جميلة .
- ماذا أعجبك ؟
- كلها .

«هذا يدل على أنه لا يتمتع بعقل انتقادى». أنا أعرف ذلك، وهى مهمتى، أن أجعله يفهم، ويبحث عن الإيجابى والسلبى، إذا نجحت فى ذلك أكون حررت شخصيته. وهذا يتطلب منى أن أحكى له حكاية بطريقتى الخاصة، فقلت له

- هيا سأحكى لك ونحن نتمشى فى طرقات القصر.

ظهرت السيدة ماجدة، وسألت بلهجة معترضة :

- إلى أين ؟
- سنتمشى فى القصر .
- والدرس ؟
- انتهينا من درس الحساب، ودرس العربى سيكون أثناء سيرنا .
- كيف هذا ؟!
- تعالى معنا وسترين .

- أنا ؟!

- نعم، سنتآنس بك .

كنت أريد معرفة الكثير عن شخصية السيدة ماجدة، وأتمنى الوصول إلى أعماق روحها . لأن علاج أيمن يكمن فى شخصية والديه، فالسلوك المرضى للطفل يكتسب نتيجة لأخطاء فى التعامل معه، وما يكتسبه الطفل من أخطاء سلوكية يمكن أن يتوقف عنها إذا ما عدلنا من الظروف والمعاملات التى أدت إليها، وهنا يأتى دورى فى تحويل السيدة ماجدة إلى جزء من الحل .

سرنا فى طرقات القصر، وبدأت فى قص حكاية (ضحى والغول) ، وأيمن وأمه يستمعان إلىّ بشغف، فقد استطعت أن أنقلهما عبر الخيال إلى أجواء القصة، وقلت لهما : سارت ضحى فى قصر الغول تبحث عن دجاجتها التى تبيض لها كل يوم بيضة من ذهب .

القصر ساكن، وطرقاته متربة، وخيوط العنكبوت فى كل مكان . كأنها خيوط الوحدة والفراق والعزلة .

بحثت ضحى عن دجاجتها كثيرا، ولم تجدها .

سأل أيمن بخوف : أين اختفت ؟

وسألتنى ماجدة : هل أكلها الغول ؟

ابتسمت وقلت لهما : الغول لم يأت بعد .

سألنى أيمن: وماذا فعلت ضحى ؟

- لم تجد ضحى الدجاجة ، وقررت أن تخرج من القصر ، فوجدت الباب الحديدى مغلقا، كما أن الحبل الذى نزلت به اختفى فأخذت تفكر ماذا تفعل قبل أن يأتى الغول ويأكلها. وقررت أن تعد أكلا شهيا ليأكله الغول بدلا منها.

طبخت أوزة ؟ وكمية كبيرة من الأرز المفلفل بالشعرية وزودت الطعام بالبهارات ذات الرائحة النفاذة .

بعد قليل سمعت صوت خطوات الغول، فأسرعت بالاختباء وسمعت صوته القوى يقول : ما هذه الرائحة الذكية ؟! .. ما هذا .. أرز مفلفل بالشعرية، وأوزة سمينة محمرة، من فعل هذا ؟! المهم أن آكل أولا .. ثم أرى من فعل هذا . وبدأ فى التهام الأوزة .. ثم التهم الأرز وهو يتلمظ، وقال سعيدا هذه أكلة شهية لم آكل مثلها من قبل.. لكن من فعل هذا اظهر وبان عليك الأمان.

فظهرت ضحى من تحت السرير. سألها:

- من تكونين ؟

- أنا ضحى .

نظر الغول إليها طويلا، وسألها

- ما الذى أتى بك إلى قصرى؟

قالت ضحى بعفوية :

- الحبل .

- أى حبل ؟!

- حبل كبير. أحضرته زوجة أبى، وأمسكته، وطلبت منى النزول عليه.

- لماذا ؟

- لأبحث عن دجاجتى التى تبيض كل يوم بيضة ذهبية .

- وأين الحبل ؟

- اختفى .

صمت الغول، وقد خمن الحكاية، ومكيدة زوجة أبى ضحى ثم سألها الغول

- هل وجدت الدجاجة ؟

- لا

- هل أنت أعددت الأوزة والأرز ؟

- نعم .

www.ibtesama.com ** معرفتي ** مجلة الابتسامة

- لماذا ؟

- لكى تأكلهم بدلا منى .

ضحك الغول، وقد اكتشف أن ضحى فتاة بريئة وذكية وقال لها

- هل تقبلين العيش معى ؟

- أقبل بشرط.

- ما هو الشرط ؟

- ألا تأكلنى .

ضحك الغول كثيرا، وقال : أنا لا آكل إلا الأغبياء .

- وكيف تعرف الأغبياء ؟

قهقه الغول وقال : اطمئنى أنت لست منهم، هيا نبحث عن دجاجتك.

ونحن نسير فى طرقات القصر، وصلنا إلى قاعة كبيرة مغلقة سألت ماذا يوجد هنا ؟

حملقت فىّ السيدة ماجدة ، ثم تنبهنا على صوت سيارة تسرع فى اتجاهنا، وتوقفت بالقرب منا، ونزل منها رجل طويل، ونحيل، وحاد الملامح.

تجمدت نظرات ماجدة، وهى تنظر إليه، وارتبك أيمن وشعرت أنه يختبىء خلفى . وتقدم الرجل منا، وقال بصوت جاف : ماذا تصنعون هنا ؟ وأشار إلىّ متسائلا : ومن تكون هذه ؟! .

١٠ - الأستاذ كمال المحامى

فى الصالون الفخم جلس الأستاذ كمال، وزوجته السيدة ماجدة والأستاذة مها المدرسة .

لاحظت مها أن أيمن اختفى، ولم يسأل أحد عنه .

كرر الأستاذ كمال ترحيبه بمها فى محاولة للتواصل معها . ونظر إلى زوجته، وطلب منها أن تكرم ضيفتها، وألحق طلبه بضحكات خاوية تفتقد

البهجة أو المرح .

ما أن خرجت زوجته حتى سأل مها بسرعة، وكأنه كان يختزن السؤال

- ما رأيك فى مستوى أيمن ؟

- متوسط .

- أنا فى رأيى أنه ضعيف ولا يفهم، هل هناك أمل فيه .

- أمل كبير إن شاء الله .

صمت قليلا، وكأنه يشحن نفسه، وقال : أنا أرهق نفسى من أجل من لا يستحقون .

تعجبت مها، ولزمت الصمت ، فالرجل يدخل بها إلى منطقة خطرة لا تريدها .

استأنف الأستاذ كمال : أنا أحمل مسئولية هذا القصر كله على كتفى وهنا سألته مها : والدكتور عماد ؟

أشاح بوجهه، وقال : يكفيه ما به .

سألت مها بلهفة : ماذا به ؟

- هذا موضوع آخر .

دخلت السيدة ماجدة تجر عربة عليها أطباق من الحلويات وأكواب من الشراب .

قال الأستاذ كمال : المهم أن تطمئنينى على أيمن .

سألته مها : هل لأيمن أصدقاء ؟

بتعجب قال الرجل : أصدقاء ؟!

- نعم ، هل له أصدقاء فى مثل عمره يلعب معهم .

- يلعب معهم ؟!

- نعم، أى طفل يحتاج للأصدقاء واللعب ليشب صحيح النفس والبدن.

انقبض وجه الأستاذ كمال، وقال كأنه يلومها

- أنا أسألك عن حاله فى التعليم .

– هذا شيء مقدور عليه يا أستاذ كمال، لكن الأهم أن يحصل ابنك على شخصية إيجابية.

كمال: شخصية إيجابية ؟!

حدقت السيدة ماجدة فى مها، وتقطعت أنفاسها. وسألتها : ما معنى شخصية إيجابية ؟!

أجابتها مها بحذر : الشخص الإيجابى هو الشخص الذى يؤمن بأخلاق المبادأة لا أخلاق الخضوع والطاعة، وأخلاق الأمل لا أخلاق الخوف، وأن يكون شجاعا .

نظرت مها إلى وجه كمال، فرأت توترا، وتقلصات فى الوجه.

وسألت ماجدة، وهى لا تكاد تستوعب شيئا

– وما الشجاعة ؟

– هى التحرر من الخوف غير المنطقى .

بادرها كمال بالسؤال :

– هل تعلمين أيمن هذه المبادىء ؟

– أيمن .

كمال : نعم أيمن .

– إنه يحتاج .. لأن يشعر بالأمان أولا، والاطمئنان النفسى وأن يلعب مع أطفال فى مثل عمره. ويحتاج أن تكون بيئته ثرية .

قهقه كمال، وقال بسخرية :

– وهل ترين أننا فقراء ؟

– ما أقصده .. أن يكون لديه كمبيوتر، وكاميرا ويتعلم فن التصوير ويدعو زملاءه للعب معه هنا فى القصر ، وتكون لديه كرة وقصص وشطرنج.

– هل أنت مدرسة أم ماذا ؟

– المدرسة هى مربية أولا .. ثم مدرسة ثانيا، أنا هنا لأعتنى بجسده وعقله وشعوره، ويجب أن يكون البيت حاضنا لأطفاله .

قال كمال غاضبا وهو يترك المكان :

- آراؤك غريبة وتدعو للهو والعبث.

فى الغروب عندما غادرت مها القصر، شعرت أنها قد لا تعود مرة أخرى فقد ترك كمال ظلالا كثيفة حول شخصيته، وشعرت بسحابة سوداء تركض فى قلبها .

١١ - مشاعر أيمن

فى المساء، كان أيمن فى حجرته يحاول أن يذاكر وهو مشتت الذهن. لايكاد يستوعب شيئا، لكن شبكة أعصابه تيقظت، وخلايا مخه توهجت عندما سمع أباه يتحدث مع عمه عماد عن مها، ويصفها بأنها فوضوية ولا تفهم شيئا، وأنه غير راض عن آرائها وقص على عمه ما دار بينه وبين مها من نقاش، وأنه أعلن غضبه، وأنها لن تأتى مرة أخرى .

انقبض قلب أيمن، وشعر بالحصار، وهو كثيرا ما يشعر باختناق عندما يتواجد أبوه فى القصر. ويشعر بالسرور، وبحرية الرياح فى الصحارى الممتدة، عندما لا يتواجد أبوه فى القصر. لكن ماذا يفعل إذا امتنعت مها عن المجيء ؟!

١٢ - قرار مها

فى المساء قررت مها عدم الذهاب للدرس بعد هذا اليوم. وجود الأستاذ كمال صنع جدارا بينها وبين أيمن .

خطر أيمن فى دهاليز ذاكرتها فشعرت بحزن رقيق يطرق أجفانها. هذا الولد يعانى من أمراض نفسية تدفعه للسرقة، وأيضا يعانى من بطء فى الفهم، ويفتقد الحنان الواعى، ويحتاج لعقل قوى يصحح من منهج تربيته ليستقيم تفكيره .

ينابيع من الحنان تفجرت فى قلبها وشعرت أن أيمن هذا هو طفلها الذى

لم تلده وتمنت لو تراه كى تحضنه، وتعطيه الشجاعة، وتطمئنه على أنه يستطيع أن يشق طريقه بقوة، وأنها ستساعده على الوصول لمعرفة ذاته على أن يكون هذا فى المدرسة .

١٣- أيمن فى المساء

لا يحب أيمن أن يتواجد فى البيت أثناء تواجد والده . ركب دراجته، وأخذ يسوقها فى طرقات القصر .

سيذهب إلى جده، هناك سيجد السكينة والهدوء، ويمطره جده بكلمات عميقة كأنها آتية من السماء، تبعث راحة غريبة فى صدره، كأنها مخدر يسرى فى جسده، وبالرغم (من ذلك) فإنه لا يفهم شيئا من جده.

دخل القاعة. وجد جده سابحا فى ملكوت بعيد؟ وبجانبه كتاب ضخم .

قال منبها جدى .

لم ينظر الرجل إليه .

- أبى وصل .

لم يطرف جفنه، ولم تلمع عيناه بنظرة تذكر .

«إن الرجل فى عالم آخر» هذا ما خمنه أيمن، وغادر القاعة، وركب دراجته ورأى أن يمر على أبناء الدكتور عماد ليلعب معهما، إنهما يثيران ضحكه، ويقضى وقتا ممتعا معهما، ويسرق منهما أية لعبة تروقه .

قبل أن يصل إلى مكانهما، وجد الدكتور عماد واقفا بجانب سيارته وكأنه ينتظره

- أهلا يا عمى .

- أهلا يا أيمن ، أين كنت ؟

- عند جدى .

- هل أخذت الدرس ؟

- نعْم، ولا أظن أن الأستاذة ستأتى مرة أخرى ؟

- لماذا ؟
- أبى غير راض عنها .
- كيف عرفت ؟

صمت أيمن .

أدرك الدكتور عماد أنه لا يرغب فى الكلام، ورأى أن لا يلح عليه، لكن إذا لم تأت مها .. سيغيب الضوء عن حياته ، ماذا ؟! .. نعم إن وجودها يداعب رماد حلم كاد أن ينطفىء فى داخله .

قال عماد

- هل ستذهب للمدرسة غدا ؟
- نعم .
- وهل سترى الأستاذة مها ؟
- طبعا .
- وهل ستعرف منها إن كانت ستأتى أم لا ؟
- لا أدرى .
- وهل تحب مجيئها ؟

قال أيمن باندفاع يدل على فوران مشاعره :

- طبعا .

قال عماد وهو يركب سيارته، ويغادر إلى عيادته:

- غدا سنعرف كل شىء .

١٤ - فى المدرسة

فى صباح اليوم التالى بحثت نظراتها عن أيمن وهدأت عندما وجدته واقفا فى الطابور، لم يأت لتحيتها ولم تبتسم له، نظراتها لا مستقر لها ، قناع بليد كسا وجهها .

فى الفصل أفلت شعاع من عينيها إليه. وجدته ساكنا خاملا، نظرة خابية حلت مكان الألق البهيج فى عينيه. رأت أن تندمج فى الدرس، وتتحاشى الاحتكاك البصرى معه .

كتبت على السبورة تاريخ اليوم ثم عنوان درس الحساب وكتبت اشترى تاجر ١٨ قفصا من الطماطم، سعر القفص الواحد ١٢ جنيها، ودفع ١٥ جنيها ثمنا لنقل الكمية، ثم باع الكمية كلها بـ ٢٥٠ جنيهاً، فهل كسب أم خسر ؟ وكم يكون مكسبه أو خسارته ؟

رفع التلاميذ أصابعهم، اختارت أحدهم، لم يوفق فى الإجابة. أيمن يرفع أصبعه ويخفضه . وكأنها تلمح رعشة فى يده وفى وجهه . أشفقت عليه، وطلبت منه أن يخرج للسبورة. خرج متعثرا .

نفضت الحذر من وجدانها، وعادت إلى فطرتها، وابتسمت له، وقالت مشجعة :

- أهلا يا أيمن، أنا متأكدة أنك تعرف الحل، هيا يا بطل ساعدنا على معرفة مكسب التاجر .

الكلمات أشاعت الثقة فى نفس أيمن، هدأت مشاعره، وبدأ فى حل المسألة، وصاحت مها

- صفقوا له .. الحل ممتاز .

فى حصة الألعاب وقفت مها خلف النافذة التى تطل على الملعب، كانت الأبلة وداد تقف فى الوسط، وهى تصرخ فى الأولاد، وتوجه تحذيراتها وانتقاداتها، وداد مشرفة، ومدرسة ألعاب ، بحثت نظرات مها عن أيمن. وجدته يقف خارج الملعب، نظراته خاوية، وحركاته لا معنى لها، ووجهه مسربل بالخجل، وكأن هناك قوة سالبة تمتص حيويته ، وتكبل شخصيته .

هذه الأزهار الصغيرة تحتاج إلى شمس الحنان، وهواء الحرية لتنمو ويقوى عودها. شعرت بالأسف نحوه، لكنها اكتفت بذلك .

فى وقت الفسحة رأته يسير أمام حجرة المدرسات ذهابا وإيابا. تيار من

الحنان سرى فى داخلها، لكنها تذكرت أباه فتوقف التيار .

فى وقت الانصراف، تعمدت أن تتأخر فى الحجرة، ورأته ينظر كثيرا نحو الحجرة، ويتحرك كثيرا فى مكان محدود، وأخيرا انصرف ورأسه منكسة .

١٥ - انتظار

الساعة الرابعة عصرا، هذا ميعاد مجيئها ولم تأت، نظر إلى ساعته كثيرا، إن أستاذته تأتى فى ميعادها بالضبط، أسرع إلى باب القصر لم يجد أحدا .

تطلع أيمن إلى ساعته كثيرا، مشاعر القلق تضرب صدره، وتهز اطمئنانه، أصبح قلبه خاويا مثل صحراء ممتلئة بالأشواك. قرر أن يعتصم بحجرته. سمع صوت موتور سيارة. ارتفع رأسه، وامتدت نظراته، ابتسم عندما رأى عمه الدكتور عماد، تمنى لو كان هذا العم أباً له .

ناداه العم :

- أيمن .. أيمن .

اقترب منه.

سأله العم

- ماذا بك؟ ألم تأت الأستاذة مها .

انفجر فى البكاء .

احتضنه العم وهو غير مصدق، طوقه، وربت عليه كثيرا، وقال بصوت ممتلىء بالحنان:

- كفى .. كفى يا بطل الرجل لا يبكى، تعال معى.

ركب أيمن السيارة معه، قال عمه :

- هل تذهب معى للمستشفى ؟

صمت أيمن .

سأله عمه :

- هل نتنزه فى طريق وابور النور، ثم نعود للقصر ؟

أجابه أيمن وقد جفت دموعه

- نعم .. هذا أفضل .

استطرد العم :

- لعل الأستاذة مها تحضر .

صمت أيمن وأنفاسه متقطعة .

تحرك الدكتور عماد بالسيارة، قاطعا الطريق ببطء ، وأخذ يحكى لأيمن عن أحد مرضاه ثم عاد إلى القصر .

السيدة ماجدة كانت فى الشرفة، والقلق يطل من عينيها .

سألت ابنها بحدة : أين كنت ؟

أجابها الدكتور عماد : كان معى .

قالت محتجة: وماذا عن الدرس ؟

سألها عماد : أى درس ؟

ماجدة: درس الأستاذة مها .

قال أيمن بصوت متهدج : إنها لن تأتى.

ماجدة : لماذا ؟! هل أغضبتها؟!

تساءل أيمن محتجا : أنا ؟!

سألت ماجدة : ماذا حدث ؟

قال عماد : سأقول لك ماذا حدث ؟ اذهب أنت يا أيمن إلى حجرتك .

وقال الدكتور عماد لماجدة هناك احتمال أن الأستاذة مها لم تقبل اعتراض أخى أبى أيمن على (آرائها التربوية).

صمتت ماجدة، وقالت : إذا كان الأمر كذلك ، فلا نريدها .

قال عماد : أنت لا تريدينها ، لكن ماذا عن أيمن ؟

ماجدة: ماذا به أيمن ؟!

أخبرها الدكتور عماد أن أيمن كان يبكى عندما شك أن أستاذته لن تأتى، كما أنها تجيد التعامل معه، «والأهم أنى رأيت تطورا مذهلا فى شخصية أيمن» .

- ماذا تعنى ؟

- لابد من الذهاب إلى الأستاذة مها وإعادتها.

تساءلت ماجدة: من سيذهب إليها ؟

- واجبك كأم يهمها مصلحة ابنها، أن تذهبى أنت وأخى إليها .

- أخوك ؟! أنت تعرف أنه لن يذهب .

- هل هناك .. من هو أغلى من ابنه ؟!

- أرجوك يا دكتور ..

- إذن أذهب أنا معك .

- أنا أذهب ؟!

- نعم، ومن المفضل أن نأخذ أيمن معنا.

١٦- مها وعماد

التقطت أذناها صوت محرك السيارة. رنين جرس الباب صلصل فى أعماقها. خطوات والدها البطيئة اتجهت للباب ، سمعت صوت أبيها وهو يرحب بفتور: أهلا يا دكتور .

أسرعت إلى المرآة، تيار كهربائى سرى فى قلبها، ومشاعر خامدة تيقظت .

صوت أمها يرحب بالقادمين، أرهفت أذنيها لتعرف من القادم مع الدكتور .. لم تستطع التمييز .

اتجهت إلى أمها فى المطبخ وسألتها هامسة : من يا ماما ؟

- الدكتور، وتلميذك وأمه .

هتفت : أيمن !!

تنفست بعمق عدة مرات لتستوعب ما يحدث . .

تيقظت على صوت أمها تسألها : ما الذى أحضر هذا الدكتور ؟

أدركت ما يدور بخلد أمها ، «فقد سألتها من قبل عن عمر هذا الدكتور، وحالته الاجتماعية، وعندما أخبرتها بأنه أرمل غرقت فى الصمت، وظهر السرور على وجهها وسألتها عن أطفاله. قالت مها وقتها أنها لم تر له أطفالا .

ازداد سرور الأم، ورمقت ابنتها طويلا، وكأنها تقول لها إنه عريس مناسب، هيا تحركى، ماذا تنتظرين ؟!» .

قالت الأم هيا أدخلى الشراب إليهم .

- من بالداخل بالضبط؟

- قلت لك الدكتور وتلميذك وأمه، لماذا جاءوا فى رأيك ؟

- من أجل درس أيمن .

قالت الأم بخيبة أمل : درس !!

- ماذا تظنين ؟

- لا شىء .. هيا ادخلى .

★ ★ ★ ★

نظراته تقطر بالحب، وصوته مندى بالأشواق، وهو يسألها

- لماذا لم تأتى اليوم ؟

تنبه والدها وسأله إلى أين ؟

- إلى القصر لتعطى الدرس لأيمن .

أسرعت هى بالقول : أيمن لا يحتاج لدرس .

قالت السيدة ماجدة : نحن نرى أنه يحتاج .

نظرت أمها إلى الدكتور بحيرة، ورأت أن ابنتها يجب أن تذهب إلى القصر كثيرا، فهذا شيء يحرك الدكتور، وأسرت لنفسها «ابنتى خائبة ولا تفهم شيئا، وهذا ما باعد بينها وبين الزواج» .

أسرع أيمن إليها وارتمى فى حضنها، وانفجر فى البكاء .

اغتاظت أمه، وقالت بصوت حاد : أيمن !

وشعرت بأن مها قد سلبتها اختصاصها .

نظر الدكتور عماد إلى والد مها وقال له : كن معنا يا عم الحاج .

- أنا معك يا بنى، والله يشهد على ذلك .

ونظر عماد إلى الأم، وكأنه يرجوها للتدخل، فهزت الأم كتفيها وهى تشعر أن هذا الدكتور أكثر خيبة من ابنتها، ولكنها قالت لابنتها : وافقى يا مها، فهم فى بيتك يا ابنتى .

- حاضر يا أمى .

قال عماد إذن .. هيا معى .

سألته مها بتعجب : إلى أين ؟

- الدرس .

- غدا .. غدا يا دكتور .

قال بصوت غريب : سنكون فى انتظارك غدا .

١٧ - طفلان مختلفان

فى اليوم التالى، مها فى حجرتها، وقد ارتدت البالطو، وهمت بالمغادرة عندما دخلت أمها.

وقالت لها: هل أنت ذاهبة للقصر؟

- نعم.

- هل الدنيا برد؟

- نعم.
- لا.. البرد محتمل، ولا داعى للبالطو.
أرادت الأم، أن تظهر ابنتها فى صورة جذابة، وهذه البنت لا تهتم.
قالت الأم: هذا البالطو يحتاج للكواء.. هيا اخلعيه.. أنت مازلت شابة.
وتقدمت الأم، ونزعت البالطو، ومها فى تعجب لأمرها.
وقالت الأم بعد أن نجحت فى مهمتها الأولى: ما رأيك فى وضع بعض المساحيق؟
- لا أحب.
- لماذا؟ أمرك غريب يا ابنتى..كل أنثى تحب أمور التجميل.
- الجمال.. جمال الروح والشخصية.
- شخصية ماذا؟
- قصدى السلوك؟
- لا أعرف هذا الكلام، هيا استمعى لكلامى.
- ماذا حدث يا أمى؟
- لا شىء، فقط أنت ذاهبة عند عالم نوات ويجب أن تكونى مثلهم، ألم ترى السيدة ماجدة؟
سألتها مها: هل تعجبك السيدة ماجدة؟
- لا طبعا. أنت سيدتها.
تحركت مها للخارج، ولاحقتها أمها بالكلام: من المفضل أن تأخذى حنطورا للقصر!
ابتسمت مها وقالت: انتهى عصر الحنطور ياماما.. الآن نحن فى عصر التوك توك.
خذى هذا الكت كت.
ضحكت مها قائلة: اسمه توك توك يا ماما.

وركبت مها (توك توك) الذى ملأ البلدة الصغيرة، وأصبح وسيلة المواصلات الغالبة.

وصلت مها إلى القصر مبكرة قليلا عن موعدها.

سألت الخادمة عن أيمن.

قالت الخادمة: أيمن ذهب بعجلته في هذا الاتجاه، من الممكن أن تنتظريه عند الهانم، وسأذهب لإبلاغه.

- أشكرك، سأذهب أنا.

كانت تريد أن تكتشف القصر ومبانيه وأشجاره.

من بعيد رأت دراجة أيمن أمام قاعة منفصلة، وصلت إليها.

توجد نافذة صغيرة عليها قضبان حديدية، تساءلت مها عن سبب وجود القضبان، ونظرت إلى الداخل فرأت أيمن يلعب بدب قطنى ويضحك، وهو يقفز على الدب ويسقطه أرضا، كما رأت طفلا آخر يلعب بقرد قطنى ويعض آذانه، وطفلة تحاول أخذ القرد منه.

«تذكرت مها الألعاب الموجودة فى دولاب أيمن، وعرفت من أين سرق أيمن هذه الألعاب».

لاحظت مها أن الطفل والطفلة متشابهان لدرجة التطابق، وأن هناك شيئاً ما غير عادى فى هيئتهما وحركاتهما، (من يكونان؟) تساءلت مها .سمعت الطفلة تطلب من أيمن مساعدتها فى أخذ القرد. صوتها ثقيل وبطىء، وطلب أيمن من الطفل أن يعطيه القرد قائلا:

- هات القرد يا طارق.

- لا.. هذا خاص بى.

بكت الطفلة وهى تصر على أخذ القرد، وقال أيمن لها:

- خذى الدبدوب يا شيرين.

- لا.. القرد ملكى أنا.

اعترض طارق، وقال وهو يحضن القرد:
- لا.. إنه ملكى أنا.
وتعالت أصواتهما المطوطة، وأخذا يخمشان بعض ويصرخان.
قدم أيمن الدبدوب للطفلة قائلا:
- خذى الدبدوب يا شيرين.
هزت كتفيها، وهى تقول:
- القرد ملكى.
وطارق متشبث بالقرد.
قررت مها أن تتدخل، اتجهت إلى الباب وفتحته.
أسرع أيمن نحوها، وهو يهتف: أبلة مها.
طوقته وقبلته، وهى تقول: أهلا يا أيمن.
توقف الطفلان عن الحركة والصوت.
تقدمت شيرين إليها. وارتمت فى حضنها قائلة: ماما.. ماما..
هاتى القرد من طارق. وطارق ينظر إليها مذهولا.
أمسكت مها الدب، وقالت: كان الدب دبدوباً يسير فى الغابة يبحث عن الطعام، رأى عصفورة فوق الشجرة.
قالت شيرين: أريد عصفورة.
استأنفت مها الحكاية.
مها: العصفورة قالت صوصو. صوصو.. كيف حالك يادبدوب.
قال دبدوب: أنا جوعان ياعصفورة.
قال طارق: وأنا جوعان.
قالت شيرين: وأنا جوعانة.
قالت العصفورة: لا يوجد طعام على هذه الشجرة.
سألها دبدوب: وماذا أفعل؟
- اذهب للقرد دودو واسأله.

رفع طارق القرد بين يديه قائلا: دودو.
وضحك طارق، وضحك أيمن، وضحكت شيرين.
أمسكت مها الدبدوب، وأخذت تحركه على الأرضية بشكل مضحك وهى تقول: ومشى دبدوب فى الغابة باحثا عن القرد. وأخذ ينادى:
- أين أنت يا دودو؟
- أنا هنا من ينادى؟
- أنا دبدوب.. أين أنت؟
- فوق الشجرة.
وأمسكت مها القرد وعلقته فى النافذة.
وسأله الدب: أين أنت يادودو؟
- قلت لك فوق شجرة التين.
- أريد أن آكل تينا.
قال طارق: وأنا.
قالت شيرين: وأنا.
قال أيمن: أنا أحب التين.
استأنفت مها الحكاية، قال القرد دودو: لا يوجد تين.
سأله دبدوب: وماذا آكل؟
- كل سمكا.
قال دبدوب: أنا أحب السمك.. لكن أين أجده؟
قال دودو: فى البحر.
سأله دبدوب: كيف أذهب؟
- انتظر يا دبدوب.. سآخذك فى قارب ونصطاد السمك.
نظرت مها حولها، وأمسكت وسادة طويلة، جلست عليها وقالت: هذا هو القارب، هيا اركبوا.. لنصطاد السمك.
ركب الأطفال الوسادة، ومها تتحرك بها، ثم تمد يدها وتمسك أى

شيء وتصيح سمكة. فيصيح الأطفال: سمكة.

وتمسك مها الدب، وتقول له: كل السمك يادبدوب.

– هم.. هم.. هم.. لذيذ.

والأطفال يقلدونها ويضحكون.

قالت مها لهم.. بعد أن أكل دبدوب السمك، قال: أنا سأنط الحبل، وأمسكت مها حبلا، وأخذت تنط، وهى تغنى:

نطى نطة يادبدوبة

ده أنت تقلك.. تقل الطوبة

هوب.. هوب

وكمان نطة

هوب.. هوب

ونطة كمان

هوب.. هوب.

والأطفال يضحكون، وقالت شيرين: أنا أنط.

قالت مها: ونحن نغنى لك.

أمسكت شيرين الحبل، وحاولت أن تقفز.

ومها تغنى لها: نطى.. نطة يادبدوبة.

فى هذه اللحظة انفتح الباب، ودخل الدكتور عماد.

١٨ - مهمة أخري

(الدكتور عماد يحكى)

لم أصدق أذنى، أسمع صوت ضحكات أطفالى، صوت يملأنى فرحا، ويبدد الكدر من حياتى.

فتحت الباب، ما هذا؟ مها تحولت إلى طفلة كبيرة تلعب وتغنى مع

الأطفال. ضحكات الأطفال أورقت فى داخلى حديقة غناء مزدهرة.

أجنحة مسحورة حملتنى إلى عالم ملون بالبهجة.

سألت مها سؤالا غبيا: ماذا تفعلين هنا؟

وكأنى لا أرى ما تفعله.

هى قدرى، ولكن أخشى عليها من المجهول.

إن عالمى ملىء بالأشواك، فلماذا أجذبها إليه؟!

موجة هادرة تدفعنى إليها، فهى شط الأمان.

لن أظلمها، سأشرح لها كل شىء، وعليها أن تختار.

★ ★ ★ ★

انتظرتها فى الطريق.

بدأ اللون الرمادى ينتشر فى الأفق. والشمس تلملم أشعتها الذهبية الشاحبة. رأيتها فى مرآة السيارة قادمة من بعيد. فتحت الباب، وانتظرتها بجانب السيارة.

ما أن اقتربت، حتى همست لها بصوت واضح: اركبى السيارة.. هناك ما أحدثك عنه.

نظرت إلىّ متسائلة، وكأنها قرأت تصميما راسخا فى عينى فركبت بجانبى.

سقت السيارة، واتجهت بها نحو (وابور النور) فى الاتجاه المعاكس لبيتها.

قلت لها: أشكرك على ما فعلته مع أبنائى.

همست بكلمات مغمغمة.

قلت لها: لم أسمع ضحكاتهما منذ زمن، وأنا في حيرة، ماذا أفعل معهما بعد موت أمهما.

هاجمتنى مشاعر سلبية، فصمت.. ثم قلت لها وأنا أخترق جدارا سميكا من التردد:

- هل تقبلين...

احمر وجهها خجلا.. وغرقنا معا فى الصمت.

عدت مرة أخرى لأسألها: هل تقبلين؟

- ماذا؟!

- الإشراف على الطفلين.

- ماذا تقول؟!

- إنى فى شدة الحاجة إليك.

- أنت محتاج لمربية.

- سأدفع لك ضعف مرتبك.

بدون تردد قالت: أسفة.

- سأدفع لك ثلاثة أمثال مرتبك.

بانفعال وحدة قالت لى: من فضلك.. خذنى إلى منزلي.

★ ★ ★ ★

وهي تغادر السيارة قلت لها: أرجوك أن تفكرى، فالأطفال يحبونك.

★ ★ ★ ★

بيننا يا حبيبتى بحر عميق ممتليء بالصخور.

ذهبت إلى العيادة، وأنا مذهول، لم يكن لدى زوار، وهذا أسعدنى.

عدت إلى القصر لأقتات على أفكارى السلبية، ومشاعرى المهزومة، وتكاثفت الظلمات فى جمجمتى، وجثم الفتور فى أعماق قلبى حتى اليأس.

ذهبت إلى أبى فى صومعته، ليخدرنى بكلماته المشعة.

★ ★ ★ ★

أبى يصلى، أكاد أجزم أنه تحول إلى روح شفافة، أصبح كائنا يغتسل فى بحيرة من نور.

انتظرت.. حتى تلامس أبى مع الواقع.

قلت منبها له: حرما يا أبى.

غمغم بالرد، وهو يقتحمنى بنظرات نافذة طويلة، وتمتم قائلا:

- إن الحكمة تخفف من ويلات البشر.

- إنى أتألم يا أبى.

- فى داخلك كهوف مظلمة تنتظر أمواجا من الضياء.

- أين أجد هذا الضياء يا أبى؟

- كن إنسانا إلهيا.

- كيف؟! وأنا أتمرغ فى التراب.

- تذكر أن أبانا آدم هابط من السماء.

أبى يعيش فى عالم نورانى صنعه من خياله، ولهذا كلماته تنشر الصفاء والسكينة، سأحاول أن أجعل أبى يشاركنى عذابى الواقعى.

قلت له:

- أبى أنت تعرف أنى أعيش العذاب، وأفقى مسدود.

- كن صادقا فى كل شىء يابنى.

- أنا صادق.

- ما المشكل بالضبط؟

- هل أتزوج من مها ؟

ابتسم وسألنى: من تكون مها ؟

- مدرسة أيمن.

- ما الذى يدفعك لها؟ وماذا يمنعك عنها؟

- الذى يدفعنى لها.. قدرتها على التعامل مع الأطفال المختلفين. وكبرياؤها.

- الكبرياء حصن للمرأة، وماذا أيضا.

- أشعر براحة نفسية عند رؤيتها.

سألنى الرجل وهو يبتسم:

- راحة فقط؟
- وبهجة أيضا.
- وماذا يمنعك عنها؟
- الفوارق الطبقية.. هى من طبقة أدنى.
- وهل خلقنا الله طبقات، آدم وحواء كانا عرايا، هل صارحتها؟
- لا.
- فضيلة الرجل الحقيقية فى الشجاعة والذكاء، دعنى أراها.

تسلل الرضا إلى قلبى مقتلعا كل تردد، فقررت أن أصارح مها بكل شىء.

١٩ - سؤال صعب
(رواية مها عن أيمن)

كان قرص الشمس يهبط وديعا أليفا فى الشفق عندما كنت أسير مع أيمن فى طرقات القصر بعد انتهاء الدرس.

قال أيمن: أرجو أن تكملى قصة ضحى والغول.

كرر أيمن هذا الرجاء كثيرا أثناء الدرس، هناك هواجس وشكوك تملأ صدره، وعقله بدأ يتحرك متشوقا للمعرفة.

قلت له: عاشت ضحى مع الغول..

اندفع أيمن متسائلا: كيف عاشت معه؟ وكيف اتقت شره؟

نظرت إليه، وأدركت أنه يريد معرفة كيفية التوافق مع الآخرين.

قلت له: ربنا رسم الطريق لنا.

- كيف؟!

- بقانون إلهى وهو **﴿ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾**. وضحى كانت حريصة على أن تنظف البيت، وتعد الطعام، وتحكى الحكايات للغول.

ضحك أيمن وسأل: هل الغول يحب الحكايات؟

- نعم، مثلك بالضبط، وضحى تعاملت مع الجانب الطيب فى الغول؟ حتى أحبها واعتبرها ابنته، وأعطاها مفاتيح القصر، وقال لها كل حجرات القصر متاحة لك إلا حجرة واحدة هذا مفتاحها، وأراها الغول مفتاحا مختلفا.

اعترض أيمن وتساءل: ولماذا أعطاها المفتاح؟

- ليختبر أمانتها وإرادتها.

- ألم يعرف أنها أمينة طوال الأيام السابقة؟!

- كل نفس تمتلك الخير والشر، ونحن نحتاج للإرادة للتغلب على الشر.

- وماذا حدث؟

- فتحت ضحى باب الحجرة الممنوعة.

- ماذا وجدت؟

وجدت نعامة شكلها جميل.

قالت لها:

- صباح الخير يانعامة.

- صباح الخير.. من تكونين؟

- أنا ضحى.. أعيش مع الغول.

قالت النعامة: الغول يهتم بك ويؤكلك لتكبرى وتسمنى ويأكلك.

بكت ضحى، وأغلقت باب الحجرة.

جاء الغول، فرآها حزينة، ودموعها لم تجف بعد. قال لها: أنت فتحت الحجرة الممنوعة.

نظرت إليه، والرعب يطل من عينيها، وهزت رأسها عدة مرات بالموافقة.

زفر الغول غيظاً، فارتعشت ضحى خوفا.

سألها أيمن بهلع: ماذا حدث؟.. هل أكلها الغول؟

- لا..

- هل عنفها؟

- لا..

- ماذا فعل؟

جلس فى مواجهتها، وقال لها: احضرى لى كوبا من الماء.

كان يريد أن يبدد الخوف من داخلها.

وأحضرت الماء، شرب وقال لها: أشكرك ياابنتى العزيزة.

ثم التفت إليها، وسألها: ماذا وجدت فى الحجرة الممنوعة؟

همست ضحى بخوف: نعامة.

- ماذا قالت لك.

صاح أيمن معترضا، وكأنه تذكر فجأة: وهل النعامة تتكلم؟

ابتسمت، وقلت له: فى الحكاية. تتكلم.

- ثم ماذا حدث؟

- قصت ضحى للغول ما حدث.

ضحك الغول، وقال لها: لا تصدقى كل ما تسمعين، وعندما ترين النعامة مرة أخرى، قولى لها: الغول أبى يكبرنى لأصبح عروسا وأتزوج من ابن السلطان.

ضحك أيمن ثم توقف عندما ظهر عمه الدكتور عماد أمام مبنى مستقل، كان يلبس البالطو الأبيض، ابتسم ودعانا للدخول.

قاعة كبيرة أشبه بمكتبة ومعمل، هناك كتب كثيرة مرصوصة بعناية على أرفف معدنية، وطاولة كبيرة موضوع عليها نموذج لرأس إنسان من الداخل موضحا تركيب المخ.

جذبتنى الكتب، جزء كبير منها متخصص فى المخ والأعصاب والأمراض النفسية والعقلية، وكتب أدبية فى القصص والشعر.

احتلت كل مؤلفات نجيب محفوظ ركنا مهما، ودستويفسكى وتشيكوف. أمسكت برواية «حذارى من الشفقة» لاستيفان زفاريج.

سألنى الدكتور عماد: هل تحبين زفاريج؟

- نعم، إنه كاتب مرهف الحس.

- ومن تحبين أيضا؟

- نجيب محفوظ.

- ما رأيك فى الكاتبة بيرل بك؟

- كاتبة ممتازة، خاصة فى رواية الأم، ورواية رجال الله.

الدكتور عماد يتأملنى بعمق، ونظراته تسيل حبا، وقلبه يخفق بقوة فهمسات الفؤاد الخفية لا تغيب عن الوجدان اليقظ.

وصحت بفرح عندما رأيت رواية صغيرة محببة إلىّ.

سألنى عماد باهتمام: ما اسم هذه الرواية؟

- ترجمتها العربية (السياج) لكن اسمها الحقيقى الضحكة.

- هل تحبينها؟

- جدا.

- لماذا؟

- إنها قصة مشاعر فتاة تبحث عن ذاتها، وأنا أحب القصص النفسية التى يحاول الكاتب تحليل شخصياتها، والكشف عن الدوافع النفسية خلف التصرفات، ومحاولات الأبطال للتوازن النفسى، والتفاعل الإيجابى مع الحياة.

توجه الدكتور عماد نحو نموذج رأس الإنسان، وسألنى: هل أفهم من ذلك أنك مهتمة بدراسة علم النفس، والمخ، والأمراض النفسية.

قلت له: أنا أهتم بالصحة النفسية، وبكل ما له علاقة بالتربية.

صمت، وسألنى بحذر:

- والتخلف العقلى؟

- ماذا به؟

- هل درسته؟

- قرأت عنه كثيرا.

- هل تعرفين أنه مرض وراثى؟

- نعم.

أنا أبحث عن أسباب هذا المرض، وأحاوْل أن أصل إلى الجينات التى تحمل هذه الصفات لأعزلها، وهى أيضا أبحاثى فى الدكتوراة.

- تصل إلى الجينات؟!

- أنت تعرفين أن كل خلية فى المخ (المكون من بلايين الخلايا) بها ٢٣ زوجا من الكروموسومات، وكل كروموسوم به مئات الجينات التى تحمل الصفات الوراثية، أنا أستخدم ميكروسكوبا متطورا لمحاولة معرفة هذه الجينات.

- وهل وصلت إلى معرفة شىء؟

- إنها مجرد محاولات، وأعرف أن هناك أبحاثاً مماثلة فى أمريكا سأحاول أن أذهب إلى هناك فى أقرب وقت.

شعرت أن حديثه العلمى كان مجرد نزيف لجرح عميق.

قلت له بحذر:

- كل هذا بسبب طفليك؟

صمت، وكأنه يستجمع الكلمات، وقال:

- التفكير العلمى ينزع من المشاعر حدتها.

سألته، وأنا أمل أن أجد إجابة عن أسئلة كثيرة تؤرقنى:

- كيف؟

- إذا تأمل العقل المشكلات بصفتها أفكارا، لا بصفتها دوافع مثيرة للمشاعر تنتهى حدة الإحساس والانفعالات.

التفت بسرعة باحثة عن أيمن، فوجدته قد ترك القاعة وخرج دون أن

نشعر به، شعرت بالارتباك، وتحركت نحو الباب.

سألنى عماد بسرعة:

- إلى أين؟

- إلى أيمن؟

قال لى:

- اسمعى يا أستاذة مها..

- نعم.

- لقد طال ترددى، هل تقبلين الزواج منى؟

- ماذا؟!

كنت أتوقع هذا السؤال منذ زمن، وبالرغم من ذلك شعرت بالارتباك.

قال عماد:

- فكرى.. ثم أخبرينى فى أقرب وقت؟

قلت هامسة:

- كلم أبى.

- سأكلمه بعد موافقتك، وأنت تعلمين أن معى طفلين مختلفين؟ و..

- وماذا؟

أطل حزن متمكن من عينيه، وقال: لا شىء فكرى أولا.

٢٠ - متي أصل إلي الشاطئ؟
(مازالت مها تحكي)

همست لأمي بما دار بينى وبين الدكتور عماد.الفرحة أضاءت وجهها. قبلتني، ورأيت الدموع تلمع فى عينيها:

- مبروك يا حبيبتى، أنت أهل لكل خير.

قلبها مدثر بالحنان والعطف.

تذكرت شيئا، توترات القلق ظهرت على وجهى.
سألتنى أمى بلهفة:
- ماذا هناك؟
إنها قارئة جيدة لأعماقى.
قلت لها:
- له طفلان.
ابتسمت أمى، وقالت:
- خذيهما ابنين لك.
صمت قليلا، فظهر القلق على وجهها، وسألت مشفقة:
- هل لا يعجبك الأمر؟
- إنهما مختلفان عقليا.
ضربت صدرها بيدها، وهمست بمثل شعبى متداول (جت الحزينة تفرح مالاقتش مطرح).
وسألتنى وقد تبددت فرحتها:
- وماذا ستفعلين؟
جاء أبى، وسمع المثل، فتساءل:
- من هى الحزينة؟
صمتت الأم، ثم قالت:
- اسأل ابنتك.
سألنى أبى بحنان:
- ماذا هناك يا ابنتى؟
- الدكتور عماد سألنى الزواج.
كللت الفرحة وجه أبى، وقال:
- مبروك، ومتى سيشرفنا؟
بادرته أمى بالكلام:

- له طفلان مختلفان عقليا.

تمتم أبى:

- لا حـــول ولا قـــوة إلا بالله، هذا الرجل له الجنة إذا أحـــسن معاملتهما.

سألته أمى بتعجب:

- كيف؟

- ألا تعـرفين أن رجـلا دخل الجنة بسـبب هرة، فـمـا بـالك بطفلين أعجمين، إنهما منحة وبلاء فى نفس الوقت..

قاطعته أمى:

- المهم.. هل تقبل مها الزواج منه ؟

قال أبى:

- نعم، وهل يرفض إنسان منح الله؟!

قالت أمى باستسلام:

- لا أفهم عليك.

- إن مها ستكسب ثوابا كبيرا فى هذين الطفلين.

سألته أمى:

- وكيف تقوم مها بعملها كمدرسة، وواجبها كزوجة، ورعاية هذين الطفلين.

قال أبى بأريحية:

- أقوم أنا بتربيتهما.

كنت أستمع للحوار بينهما، وأنا مستمتعة، ووجدت نفسى أميل إلى رأى أبى، فقررت أن أعلن موافقتى لعماد.

★ ★ ★ ★

قبل أن أدخل القصر، وجدت الدكتور عماد ينتظرنى، فتح الباب، وهو يبتسم لى. همست له:

- أبى ينتظرك فى أى وقت تختاره.

دخلت إلى أيمن، وبدأت الدرس معه، وأنا مترعة القلب بالفرحة.

بعد قليل جاءت السيدة ماجدة، ونظرت إلى نظرة طويلة، وهزت رأسها بتعجب وخرجت بدون أن تقول كلمة.

تمطى القلق العميق فى داخلى.

قلت لأيمن:

- تعال نخرج لأكمل لك درس العربى.

- هل تحكين لى حكاية ضحى والغول؟

لأتخلص من إلحاحه قلت:

- نعم.

فى طرقات القصر. قدماى تتجهان إلى مكان مكتبة الدكتور عماد.

توقفنا عند الباب، عندما سمعت صوتا غاضبا يتكلم. كان صوت الأستاذ كمال المحامى.

صوته اخترق أذنى، وغرس الجمر فى أعماقى، وهو يقول:

- أنت تعرف أنك لن تتزوجها، وكان يجب أن تكاشفها.

تسمرت قدماى وشعرت بالوهن.

بشكل غريزى تراجعت، واعتذرت لأيمن، واتجهت إلى باب الخروج.

وصوت الأستاذ كمال يلاحقنى، ويسلب الطاقة من جسدى.

حزن عميق يتنفس فى الزمن، وخيول الشجن تدهس قلبى. صوت سيارة يلاحقنى.

الأستاذ كمال نزل من السيارة، وجهه متجهم، وقال لى:

- آسف يا أستاذة، لقد أخبرنى أيمن أنك سمعتنى.

نظرت إليه من خلال غلالة من الدموع، فظهر كشبح يسد طريق الحياة.

استمر فى كلامه:

- أنا آسف مـرة أخـرى.. لم أكن أحب أن أضـع نفـسى فى هذا الموقف.

صمت، وتنهد، وقال بشكل مفاجئ:

- أخى الدكتور عماد مريض ولا يستطيع الزواج.

شـعرت بتـوقف أنفـاسى، وأنى أكـاد أتهـاوى، وأصـر هو على أن يقضى علىّ، فأكمل كلامه:

- أخى مصـاب بفيروس سى، وأنا معى توكيل منه ومن أبى بإدارة الثروة. هذا شىء.. كان يجب أن تعرفيه.

★ ★ ★ ★

كيف وصلت إلى المنزل؟!

كيف ارتميت على الفراش!

كيف غبت عن الوعى؟!

★ ★ ★ ★

أمى بجانبى.. تبكى وتسألنى من خلال دموعها:

- ماذا بك يا حبيبتى؟

- مريضة.

- بماذا تشعرين؟

- ضعف شديد.

- نذهب للدكتور، أو نستدعى أحدهم.

- لا.. لا.. أريد الراحة والنوم فقط.

- هل حدث شىء بينك وبين الدكتور عماد؟

- لا شىء.

وانفجرت فى البكاء، ورفضت الكلام، ولم أستطع النوم.

إنى أهبط درجات من الألم أردتنى إلى أعماق الجحيم.

زهرات الأمل تذبل، والفرح يصدأ.

★ ★ ★ ★

فى مساء اليوم التالى. جاء الدكتور عماد، سمعت صوته فى الصالون يتحدث مع أبى.

دخلت أمى، وقالت لى بلهجة غريبة، الدكتور عماد سيأتى إلى حجرتك للكشف عليك.

قلت بصوت ضعيف:

- لا..

جلست أمى على حافة الفراش وسألتنى:

- متى تخبرينى الحقيقة، ماذا حدث بينك وبينه؟

- لا شىء.

- كان من المفروض أن يتقدم لخطبتك، فلماذا لم يفعل؟

- سيتقدم بعد أيام لأسباب عائلية.

- ماهى؟

- ليس هذا وقته ياماما.

قالت، وهى تنصرف:

- جهزى نفسك لأنه مصر على رؤيتك.

★ ★ ★ ★

جاء وجهه شاحباً، ابتسامته ذابلة، جس يدى ليختبر النبض.

أعطانى بعض المهدئات والمقويات، ودس فى يدى ورقة صغيرة.

★ ★ ★ ★

قرأت الكلمات بعد أن انصرف الجميع

كتب «أنا آسف.. لا تظلمينى

يجب أن تعرفى أننا نحتاج إليك

أنا وطارق وشيرين وأيمن

أبى يريد أن يتحدث معك

نحن فى انتظارك
ولن يكون إلا الخير».

★ ★ ★ ★

مر أسبوع وجاء أيمن مع أمه فى السيارة، وأصرا على أن أذهب معهما، وشجعتنى أمى على الذهاب.

أعطيت أيمن درس الحساب فقط، وأخذتنى السيدة ماجدة فى السيارة إلى القاعة التى يعتكف فيها الحاج صقر جد أيمن. رجل تنضح شيخوخته بروعة وجلال.

الرجل يسبح وهو جالس على سجادة، وبجانبه عدة كتب تراثية.

رائحة عطرية تتسلل إلى أنفى.

أشار إلى وسادة قريبة منه، وطلب منى الجلوس.

نظر إلى السيدة ماجدة، فانصرفت.

قال لى بدون تمهيد:

- ما أكثر العفة المتولدة من العجز.

لم أفهم شيئا، ولم أشعر برغبة فى السؤال، ولم يتركنى للحيرة فاستأنف الكلام: الإنسان يتعامل بالمنطق، ولكنه يتجاوزه أحيانا مدفوعا بغريزة الحياة. الله خلق لكل إنسان رسالة، والسعيد منا من يهتدى إلى رسالته. وسر شقاء الإنسان كامن فى تأمل الماضى، أو التفكير فيما سيقع فى المستقبل.

صمت الحاج صقر قليلا ثم قال:

- الله نور الأنوار، ومصدر جميع الموجودات، ومن تجردت نفسه من علائق البدن وشهواته تيسر له الاتصال بنورالأنوار، وعندئذ ينكشف له الغيب فى يقظة أو منام.

عماد ابنى مخلوق إلهى، فمن أحبه الله امتحنه الله، وعماد خاضع لامتحان قاس، وهو يخوضه بشموخ وكبرياء. عليك يا ابنتى أن تسلمى

أمرك إلى الله، وسيدلك قلبك إلى الطريق.

ثم غرق الرجل فى صمت عميق، ولامست أجنحة قلبه قبة السماء.

فغادرت مجلسه مخدرة، لكنى مترعة القلب بالإيمان والقداسة.

فى جوف الليل صليت، وحلمت أنى أحلق فى سحابة بيضاء وبجانبى الدكتور عماد والملائكة كانت ترتل بأناشيد مقدسة.

الملائكة لها وجوه طارق وشيرين وأيمن.

وصحوت.. وأنا أشعر براحة عميقة. لأنى وجدت رسالتى التى انتظرتها طويلا.

٢١ - حياة جديدة

(مازالت مهاتحكى)

رقص شعاع الضوء فى مرح أبدى. هذا ما رأيته فى مرآة الرضا.

أخبرنى الدكتور عماد أن مرضه لا يمنعه من الزواج لأن الفيروس خامل، واتفقنا أن يتم الزواج فى أسرع وقت، وألا نقيم احتفالا كبيرا، وهذا أغضب أمى، لكن أبى بحكمته المعهودة، قال لها:

- لن نهتم بالمظاهر، المهم سعادة مها.

تم عقد القران فى بيتنا، حضر عدد قليل من المدرسات، وعم لى جاء من الريف، وصديقان للدكتور عماد.

أسعدنى كثيرا وجود طارق.. وهو يلبس حلة أنيقة، ورباط عنق أحمر، وكذلك شيرين.. تزهو بفستان أبيض، وتقول لكل من يقابلها، أنا العروس.

كان حفلا بسيطا ممتلئا بالفرح والرضا لولا تجهم الأستاذ كمال.

وجاءت السيدة ماجدة وهى مزدانة بكمية من المجوهرات، ووجهها ممتلىء بالمساحيق.

أما ما أسعدنى حقيقة فهو مجيء الحاج صقر، قبل جبهتى، وتمنى لى السعادة، فشعرت أنه ملاك يبارك فرحى.

بعد عقد القران، أصر عماد أن نتجول بالسيارة فى البلدة، وانتهينا إلى القصر.

استضافت أسرتى طارق وشيرين.

وفى اليوم التالى غادرنا إلى قرية سياحية فى الغردقة، وهى مدينة مسحورة أفلتت من عالم ألف ليلة وليلة لتغفو على شاطئ البحر الأحمر.

قضيت أسبوعا مترعا بالنشوة والفرح.

★ ★ ★ ★

فرحت أمى كثيرا عند عودتى، الرضا يطل من عينيها لأنها أكملت دورة حياتها. زغردت.. هذه هى المرة الأولى التى سمعتها تزغرد فيها، قبلت شيرين، وأعطيتها «عروسة» قالت لى:

- أنا عروس.

أمنت على كلامها، وقلت لها:

- أحضرت لك عروسا أخرى.

- ما اسمها؟

- اسمها ندى.

ضحكت وقالت:

- أنا أحب ندى.

وأعطيت طارق قطارا متحركا.. كان يريد أن يركبه.

وفى القصر.. جاء أيمن مسرعا، وفرح كثيرا عندما أعطيته «كاميرا» وقلت له:

- سأعلمك طريقة استخدامها، وسأصورك وأنت تركب الدراجة.

★ ★ ★ ★

كثيرا ما أسمع أن للفرح جناحين ولا جسد له، أما الحزن فهو جسد ثقيل ولاجناح له.

★ ★ ★ ★

تذكرت هذا عندما همست أمى لى بأنها ستعود مع أبى إلى قريتهما، فقد شعر الاثنان ألا مكان لهما فى المدينة، فالقرية هى مسقط الرأس، ومكان تجمع القلوب، ومثوى الذكريات الدافئة.

احتضنت أبوىّ وبكيت وبكيا.. كأننا نودع فصلا دافئا من حياتنا.

أوصتنى أمى بزوجى.

وعندما تحركت السيارة بهما فى طريقها إلى القرية، كانت هناك فى السماء طيور راحلة يفيض صوتها بشجن الوداع.

٢٢ - مها والأطفال
(مها تحكى عن مجهوداتها)

شخصية الإنسان تكمن فى إرادته .. هذا ما تردد فى أعماقى وأصبح يقينا فى عقيدتى. فأنا محتاجة لإرادة قوية فى تعاملى مع الطفلين. سأخلق النظام من الفوضى وأنشر الضوء فى الظلام.

★ ★ ★ ★

قلت لزوجى الدكتور عماد:

- يجب أن أذهب إلى آسيوط مع الأطفال .

- أى أطفال ؟

- طارق وشيرين وأيمن.

- أيمن ؟

- نعم إنه مهزوز ، وأحتاج لمعرفة درجة ذكائه ، ومفاتيح شخصيته، لكى أصل به إلى شخصية سوية .

نظر إلى بعمق ، نظراته كانت تحمل كثيراً من الامتنان والتقدير. وسألنى:

- هذا عن أيمن ، فماذا عن طارق وشيرين ؟

- أيضاً .. أريد أن أعرف درجة ذكائهما ، وقابليتهما للتعليم والبرنامج الدراسى لهما.

قال عماد بصوت حزين:

- درجة ذكائهما منخفضة.

قلت بتصميم :

- أريد أن أعرف بالضبط لأقف على أرض صلبة.

- تتكلمين كأنك أمهما.

- إنهما أمانة ، وسيسألنى الله عنهما.

- أنت هدية من السماء ، وفى صباح الغد ، سأذهب بكم إلى أسيوط.

★ ★ ★ ★

ذهبنا إلى القسم النفسى فى المستشفى الجامعى بأسيوط ، وزاد ترحيب الأطباء بنا عندما عرفهم الدكتور عماد بنفسه وبتخصصه.

فى حجرة مجهزة ، جاء الأخصائى النفسى ، وأخصائى التخاطب وطبيب نفسى ، وجلسوا مع الأطفال الثلاثة فى وجودنا.

تولى الأخصائى النفسى زمام الأمر ، وأشاع جوا من الألفة والود وسأل الأطفال عن أسمائهم ، قالت الطفلة :

- اسمى شيرين .

سألها الأخصائى عن اسم أبيها قالت

- عماد .

- ماذا يعمل .

- دكتور .

- فى أى تخصص ؟

لم تعرف شيرين ، وقالت

- يعالج المرضى.

سألها عن المدرسة التى تذهب إليها ، وفوجىء الأخصائى بأنها لا تذهب للمدرسة ، وتنبهت أنا لهذه الحقيقة ، وقررت أن أسأل الدكتور عماد عن تاريخ الطفلين ، وذلك عندما تتاح الفرصة.

وسأل الأخصائى شيرين إن كانت تعرف القراءة. فأجابت بالإيجاب .

قدم لها جريدة الأهرام ، وأشار إلى كلمة ، وطلب منها قراءتها فلم تعرف ، كتب لها كلمة (بابا) ، ولاحظت أنه كتبها ببطء وكأنه يتعمد أن يظهر كل حرف لها ، وقرأت شيرين الكلمة بسهولة صفق الأخصائى لها ، فظهرت علامات السرور على وجه شيرين وكرر الأخصائى الأمر مع طارق وأيمن.

أيمن قرأ الكلمات بسهولة ، لكن طارق كان يتهجى الكلمة ببطء ، ثم ينطق .

بعد ذلك بدأ الأخصائى فى تقديم اختبار (ستانفورد.. بينيه)

لتحديد درجة ذكاء كل طفل ، وأيضاً تحديد العمر العقلى له.

وشرح الأخصائى للأطفال طرق الإجابة.

أما أخصائى التخاطب ، فقد قدم ورقة مرسوماً عليها بقعة حبر ليس لها شكل محدد ، وسأل شيرين عن الشكل فقالت

- عصفورة.

وقال طارق

- بالونة.

أما أيمن فقال

- هذه سحابة.

وقدم الدكتور عماد رسوما للمخ ، كان قد أجراها للأطفال الثلاثة.

وزرنا مدرسة للتأهيل الفكرى ، وسألنا عن برامج الدراسة ، واستعرت بعض الكتب منهم.

وفى أثناء عودتنا ، كان الدكتور عماد يسوق سيارته مهموما. أما أنا فشعرت براحة نفسية ، وتصميم على أن أبدأ مع ثلاثة أطفال مهمة تعليمهم. والأهم أن أصل إلى عقولهم بالرغم من أن أيمن درجة ذكائه لا تتعدى الثمانين ، وهذا يصنف بطفل بطئ الفهم . وبالتالى سيحتاج إلى مناهج خاصة تراعى حدود ذكائه ، وقدراته على الاستيعاب.

أما طارق وشيرين فدرجة ذكائهما ٦٥ درجة وهى تقترب من أعلى درجة فى الضعف العقلى. وقد أنجح فى تعليمهما القراءة والكتابة. ولكنى سأحاول تدريبهما على بعض المهارات الاجتماعية.

هذه الأفكار شغلتنى عن الطريق ولم أتنبه إلى وصولنا للقصر . فالتفت إلى عماد وقلت له:

- أريد معرفة تاريخ حياة طارق وشيرين.

٢٣ - طارق وشيرين

بالرغم من وجود مربية لطارق وشيرين ، فإن مها أصرت على الإشراف عليهما ، ومتابعة كل ما يخصهما.

فى المساء دخلت إلى حجرة شيرين ، وجهها يشع ببراءة مغسولة بماء الفجر . كم تبدو مطمئنة متألقة وكأنها تعيش فى عالم وردى.

انحنت عليها وقبلتها ، القبلة أيقظت شيرين ، وكأنها وردة تفتحت من لمس قطرات الندى، طوقت رقبة مها . وهمست لها أنا باحبك يا ماما.

تفجرت ينابيع الحنان فى أعماق مها ، وهمست لها ، وأنا أحبك يا شيرين تصبحين على خير.

ثم ذهبت مها إلى حجرة طارق ، هو أيضاً نائم ، هناك حزن شفيف يطرق أجفانه ، تنفسه منتظم كأنه مطمئن لعالمه ، ولا يعرف شيئاً عن عواصف المستقبل.

قبلته مها وخرجت ، جلست فى الشرفة مع الدكتور عماد.

الشرفة مضاءة بضوء خافت ، والقمر يسترق النظر إليهما من خلال الستائر.

قالت مها

- طارق وشيرين نائمان.

قال عماد ممتنا

- أنت تهتمين بهما كثيرا.

- إنهما أبنائى ، هدية الله لى.

صمت عماد قليلا ، وهو يرمق مها برجاء ، وقال مترددا

- ما رأيك لو تتركين العمل من أجلهما، وسأعوضك مادياً عن ذلك، سأعمل على تأمين مستقبلك.

ابتسمت مها، وقالت له:

- من أجلهما سأستمر فى العمل.

- كيف ؟

- سأعيدهما إلى المدرسة تحت إشرافى.

- هما لا يستطيعان الدراسة.

- دع هذا لى ، وأخبرنى بتاريخ حياتهما.

صمت قليلاً ، وكأنه يستجمع شظايا ذكريات متناثرة فى دهاليز أيام ولت .

★ ★ ★ ★

انساب صوته حزينا بإيقاع بطئ كأنه لحن فاتر:

تزوجت من جميلة ابنة عمى ، وهى ابنة خالتى فى نفس الوقت، وكانت

مثل نسمة رقيقة عذبة الروح ، أنست لها ، وأنست لى وعشنا فى وفاق تام ، وتوج زواجنا السعيد بحمل جميلة ، وجاء طارق ، وكانت الولادة طبيعية ، وبمرور الأيام اكتشفنا أن طارق يهز رأسه كثيرا ، ويبكى كثيرا ، ورأيت علامات فى وجهه أثارت قلقى كثيرا.

وبعدها بعام رزقنا بشيرين ، وكانت تشبه طارق فى كل شئ. بعد مرور سنتين ، رأينا أن الطفلين تأخرا فى المشى. ذهبنا إلى طبيب أطفال فى البلدة ، كتب لهما فيتامينات ، وكالسيوم وأوصانا بالتغذية الجيدة.

وبحزن شديد ، قالت زوجتى : إن الطفلين لا ينطقان غير كلمة بابا.. وكلمة ماما بطريقة غريبة، هونت عليها الأمر. ولكنها قالت لى استمع إليهما.

وأخذت تقول لهما : بابا .. بابا .. بابا.

وبعد تكرار الكلمة بدأ طارق ينطق وقال : بب .. بب .. بب .

ولم تختلف شيرين عنه فى نطق الكلمة ، وأيضاً كلمة ماما نطقتها مم .. مم .. مم .. م م م .

ونظرت إلىّ زوجتى بحزن ، وكأنها تستغيث بى ، ونظراتها تسألنى عن سبب تكرار الحرف الأخير.

لعبت الشكوك فى صدرى ، وقررت أن أصطحب زوجتى والطفلين إلى أسيوط . وعرضتهما على طبيب أطفال كبير ، أستاذ فى كلية الطب . بعد الكشف ، أخبرنى أن الأمر يسير. ويستلزم عملية جراحية صغيرة لتخليص اللسان من الفك.

بعد العملية بشهر .. تخلص الطفلان من ظاهرة تكرار الحرف الأخير .

لكن زوجتى أصبحت مهمومة ، وكل يوم تخبرنى بملاحظات جديدة عن طارق وشيرين.

أخبرتنى أن درجة انتباههما للأصوات ضعيفة. وأنهما يسقطان كثيرا عند المشى.

ذهبنا مرة أخرى إلى أسيوط ، وتم عرضهما على طبيب الأطفال واستمع إلينا باهتمام ، وأوصى بأن نذهب لطبيب مخ وأعصاب .

سألنا الطبيب عن درجة قرابتى لزوجتى. وسألنا عن المظاهر التى لاحظناها. وقام بإختبار لأعصاب الطفلين ، ثم قرر رسم مخ لهما ، وطلب منا أن نذهب بالطفلين لأخصائى أنف وأذن ، وإلى أخصائى عظام ثم العودة إليه.

وقمنا بالفحوص اللازمة ، وعدنا لطبيب الأعصاب ، وبعد أن عرف نتيجة الفحوص . قال لنا إن الطفلين يعانيان قليلا من بعض التلف فى خلايا المخ. والتفت إلىّ ، وقال لى أنت كطبيب تعرف أن زواج الأقارب .. يسبب مشاكل للأطفال ، وقد يصل الأمر إلى ضعف العقل .

سألته زوجتى إن كان طفلاها يعانيان من ضعف العقل فأجاب بالإيجاب.

انسحبت الدماء من وجه زوجتى ، وكسا الأسى وجهها بغلالة رقيقة من الحزن ، وسألت بصوت متكسر ما مدى خطورة هذا المرض ؟

وجه الطبيب كلامه لى قائلا عدد الخلايا العصبية فى ضعاف العقول تكون قليلة ، وأيضا حجمها صغير ، كما أن عدد التشعبات والفروع فى الخلايا يكون محدودا.

سألته زوجتى بلهفة وما الضرر فى هذا ؟

أجاب الطبيب بهدوء هذا يجعل الحواس ضعيفة ، بل وقد يفقد بعضهم إحدى الحواس فقدا كاملا ، وأيضاً يكون نموهم أقل من العادى. وكل ما يتصل بالمخ من إدراك وتذكر وخيال وتفكير واكتساب قدرة لغوية ، وحتى الاستجابة الحركية ، كل هذا يكون ضعيفا.

انخرطت زوجتى فى بكاء هستيرى ، فقد عصف كلام الطبيب بكل أمانيها فى طفليها.

وسألت أنا الطبيب عن إمكانية تعليمهما. فقال لى بلهجة محايدة: توجد

مدارس خاصة لتعليم ضعاف العقول .

بعد هذا اليوم سقطت زوجتى فى جب الأحزان ، وكثيرا ما رأيتها تنظر للطفلين وتنزل دموعها غزيرة.

حاول أبى الحاج صقر أن يخفف عنها ويربط أسبابها بأسباب السماء . لكن الأحزان سكنت فى قلبها.

وتغير مسارى أنا كطبيب ، فقررت أن أدرس دبلومة فى تخصص المخ والأعصاب ، ثم ماجستير ، وحاليا أدرس الدكتوراة على أمل أن أخفف عن أطفالى والأطفال الآخرين.

صمت الدكتور عماد فى محاولة لترويض العذاب الذى يعيشه لحظة بلحظة ، وكأنه يحمل الزمن على ظهره . واستأنف الكلام قائلاً:

- عندما وصل الطفلان إلى عمر الخامسة ألحقتهما بحضانة ، وبعد شهر واحد ، قالت المشرفة لزوجتى : إن طارق وشيرين ضعفاء ، ولا يتفاعلان مع الأطفال ، وينامان طوال الوقت.

سألته مها

- ينامان ! لماذا ؟!

- لعدم قدرتهما على التوافق مع الأطفال الآخرين. كما أن المشرفة عليهما لم تبذل أى مجهود فى تدريبهما والأخذ بأيديهما ، وتعرض طارق وشيرين للإيذاء من الأطفال الآخرين.

همست مها بأسى :

- يا حبايبى !! .. ثم ماذا حدث ؟

- أخرجناهما من الحضانة ، وبعد عام ألحقتهما بالمدرسة الابتدائية.

سألت مها

- هل حدث تحسن ؟

- حدثت مشاكل كثيرة ، فقد استدعونى يوما لأن طارق يشعل الثقاب فى كتبه ، وشيرين عضت زميلة لها بقسوة والأطفال يزفونهما كل يوم. ولا

توجد مدرسة متخصصة فى البلدة ، فأخرجتهما من المدرسة ، وأحضرت لهما مربية ، وقرأت كثيرا عن طرق معاملة ضعاف العقول ، وحاولت أن أنقل ما أعرفه لزوجتى. وأفردت لهما قاعة للعب ، وأحضرت لهما لعبا كثيرة، وكان أيمن يحضر كثيراً للعب معهما إلى أن سمعت أخى والد أيمن يحذره من اللعب معهما ، خوفا عليه من التخلف العقلى ، بالرغم من عدم ذكائه وكأن عدم الذكاء شئ وراثى فى أسرتنا.

قالت مها معترضة :

- لا تقل ذلك ، فأنت ذكى وستحصل على الدكتوراة قريبا ، وكذلك أخوك الأستاذ كمال ، أما والدك الحاج صقر فهو آية فى كمال العقل ، وسمو الروح.

صمت عماد مرة أخرى ، تاركا مها فريسة للفضول لمعرفة كيفية رحيل زوجته.

زفر عماد ، وقال لها

- كان أبى الحاج صقر يأتى للقاعة التى يلعب فيها الطفلان ، ويقف خلف النافذة طويلا يتأملهما ثم ينسحب إلى مكان التعبد الخاص به ، والطفلان يخافان منه .

رفعت مها وجهها إليه ، وهمت أن تسأله عن زوجته. ولكنه استأنف كلامه:

- فى يوم .. ذهبنا إلى أسيوط ، لعرض طارق وشيرين على المتخصصين ، والبحث عن مدرسة فكرية لهما. وأصرت زوجتى أن تجلس فى الخلف مع الطفلين وأنا أسوق السيارة.

سمعت شهقات مكتومة ، نظرت فى المرآة ، فرأيت دموع زوجتى تنهمر .

اهتزت أعصابى ، وفى لحظة ، لا أعرف بماذا اصطدمنا .

فى المستشفى .. عرفت بموت زوجتى ، ونقل دم لى لإنقاذى ، أما طارق

وشيرين فلم يحدث لهما سوى رضوض خفيفة . وأصبت أنا بفيروس سى من الدم الملوث الذى نقلوه إلىّ. بعد ذلك عشت العذاب الحقيقى إلى أن ظهرت أنت يا حبيبتى .

احتضنته مها ، وهى تهتف من أعماقها يا الله !!!

وكأنها تناجى الله قائلة بجماع روحها: لقد أدركت الرسالة!!

٢٤ - أول الغيث
(مازالت مها تحكى)

كلمات زوجى عماد حفرت فى ذاكرتى أحداثا لا تنسى . لم أستطع النوم ، خرجت إلى الشرفة ، جلست أراقب خطوات الليل بنظرات متأملة.

أسندت رأسى على صدر المساء ، ورنوت للنجوم مفكرة. الله خلقنا من طين ، وعلينا أن نحتل مكاننا بين النجوم.

توضأت وصليت ودعوت الله أن يشعل القوة فى النفس الواهنة . ويهيئ لى من أمرى رشدا.

خطوات عماد بددت السكون:

- ماذا تفعلين يا حبيبتى ؟
- أفكر فى طارق وشيرين .
- ماذا بهما ؟
- يجب أن أعلمهما.
- قلت لك ، اتخذى من قاعة اللعب الخاصة بهما فصلا دراسيا.

قلت وأنا أطارد فكرة غامضة :

- هناك أطفال آخرون مثلهما.
- ماذا تقصدين ؟
- أجمعهم فى فصل دراسى واحد.

- حمل اثنين أخف من حمل مجموعة.

نظرت إلى عماد ، والفكرة تتضح فى ذهنى ، وقلت له :

- أنت تعرف أن الإنسان يميل للتكامل مع الآخرين.

- نعم .

- الأطفال الضعفاء عندما يتجمعون معا ، لن يشعر أحدهم بالضعف أو بالنقص.

ابتسم عماد ، وقال :

- تجمعهم معا قد يدفعهم للتعاون ، واكتساب الدافع للتعلم.

شعرت بالفوز ، فها هو عماد يتبنى فكرتى.

قال عماد لى

- فكرتك عظيمة.

قلت بتصميم :

- على أن أقنع مديرة المدرسة بها.

قال عماد

- يجب أن تقتنع ، وإذا لم توافق ، فسأتصرف أنا .

٢٥ - ثناء وود اد

المديرة ثناء مديرة تقليدية ، تميل لتنفيذ الأوامر ، ولا تحيد عنها . ولذلك فهى تكره الأفكار الجديدة أو تتخوف منها ، فهى أسيرة المألوف والعادة والتكرار.

هذا ما كان يدور فى خلدى ، وهى تدخل مكتب المديرة ثناء ، ولسوء حظها رأت وداد جالسة مع المديرة ، فشعرت بإنقباضة فى صدرها ، وهمت بالتراجع ، فوداد شخصية غير مريحة ، وهى مدرسة فصل ، ومشرفة ، ومدرسة ألعاب ، وأهم شئ أنها عين وأذن المديرة لأنها متخصصة فى نقل الأخبار ، وتلون الأخبار حسب رغباتها ورغبات السيدة المديرة.

نادت ثناء عليها ، وسألتها عما تريد. نظرت لوداد ، وقالت :

- جئت للسلام فقط.

فهمت المديرة نظرتها ، وقالت لها

- تحدثى عما تريدين ، فوداد عضوة هيئة تدريس .

وقالت مؤكدة :

- وهى عضوة نشيطة ومهمة.

هزت وداد رأسها تأكيدا لكلام ثناء.

أخذت مها نفسا عميقا ، وقالت:

- أفكر فى إنشاء فصل للمختلفين عقليا ، والمتخلفين فى الدراسة.

لم تلاحظ مها ما اعترى وجه وداد من انفعالات سلبية. فوداد لها ابن يواجه صعوبات فى الدراسة فى السنة الرابعة.

قالت ثناء بشكل تقريرى

- النجاح فى مدرستى إجبارى ، وخاصة فصول النقل.

مها

- لكن حضـــرتك تعرفين أن هناك بعض التلاميذ فى السنة الأخيرة.. ولا يعرفون القراءة والكتابة ، أليس كذلك يا مس وداد ؟

شبكة أعصاب وداد مستفزة ، وهى تتكلم :

- ماذا تقصدين ؟! هل مدرستنا فاشلة؟

- أقصد تجميع التلاميذ بطيئى الفهم فى فصل واحد ، ولنبدأ بالسنة الرابعة.

قالت وداد بحدة :

- ولماذا السنة الرابعة ؟!

وقالت ثناء

- لن أسمح بهذا أبدا ، تريدين تجميع المتخلفين فى فصل واحد ، هذا إعلان عن فشل المدرسة.

وقالت وداد

– إذا بليتم فاستتروا يا أستاذة.

وقالت ثناء بتصميم :

– أنا لن أسمح بهذا مطلقا.

★ ★ ★ ★

فى جلستهما الأليفة فى الشرفة ، والتى يطرحان فيها همومهما. أخبرت مها عماد بما دار بينها وبين المديرة.

ابتسم عماد ، وقال :

– أنا أعرف الأستاذ شوقى زوج المديرة.

– وماذا يعنى هذا ؟!

– المديرة ستوافق على فكرتك.

– كيف ؟!

– لأنى أنا أريد ذلك.

بعد يومين استدعت ثناء مها إلى مكتبها ، ورحبت بها ، وابتسامتها تغطى وجهها كله. وقالت معاتبة :

– كنت أود أن تدعينى أنت للحفل.

– أى حفل ؟!

– الذى سيقيمه الدكتور عماد يوم الخميس فى القصر.

قلت وأنا فى حيرة :

– كنت أنتظر الوقت المناسب يا حضرة المديرة .

– عموما الدكتور عماد دعا زوجى الأستاذ شوقى المحاسب . ودعانى معه ، وقد قبلنا الدعوة.

★ ★ ★ ★

فى البيت سألت عماد عن الأمر فابتسم ، وقال

– سنقيم احتفالا صغيرا فى القصر بمناسبة زواجنا.

- من المدعوين ؟

- المديرة وزوجها ، وأنا وأنت .

نظرت لعماد بتعجب ، فهذه ليست طريقته ، وسألته :

- لماذا يا عماد ؟!

- أنا مصمم على تخصيص فصل للأطفال المتأخرين دراسيا لينالوا رعاية كافية ، وسأتبع كل الطرق لتحقيق ذلك.

٢٦- مهاتحكى

فى مساء الخميس استقبلنا المديرة ثناء وزوجها المحاسب شوقى فى حديقة القصر. وحرص زوجى على أن يزدان القصر بالألوان ، وأن تصدح موسيقى خافتة فى أجواء الحديقة ، كما أصر على أن نرتدى ملابس السهرة، وقدمنا عشاء فاخرا ، أثار شهية الأستاذ شوقى. وبعد العشاء قال زوجى للأستاذ شوقى:

- عندى مشكلة فى تربية العجول.

أثار الكلام اهتمام الأستاذ شوقى ، وقال :

- أنا أتاجر فى العجول والبقر، وأعرف عنها الكثير.

فأبدى زوجى تعجبه لهذه الصدفة ، وقال :

- قد أستفيد من علمك هذا وقد نقوم بعمل مٍعا ، فنحن نعانى من مشكلة فى التسويق .

وأصر الأستاذ شوقى على أن يرى مزرعة العجول. وأخذه عماد فى السيارة إلى هناك ، بينما قمت أنا بجولة فى القصر مع ثناء.

★ ★ ★ ★

فى اليوم التالى استدعتنى ثناء ، وقالت لى

- أنا درست فكرة تخصيص فصل للتلاميذ المتخلفين دراسيا ، ورأيت أنها فكرة مقبولة ، وليت الدكتور عماد يساعدنا فى الحصول على الموافقة

من إدارة التعليم فى أسيوط.

★ ★ ★ ★

وكأن الله استجاب لدعائي بأن يشعل القوة فى النفس الواهنة . فأنا لم أر عماد متوهجا ومتحمسا ، مثلما رأيته ، وهو يأخذنى فى السيارة إلى أسيوط ، وذهبنا للإدارة التعليمية ، وقابل المسئولين ، وكنت معه . واستطاع إقناعهم بفكرة الفصل خاصة عندما تركنى أشرح فكرة التدريس فى الفصل، وكنت قد قرأت كتاب الدكتور اسماعيل القبانى فى التعليم عن طريق المشروع والورشة. وعندما سألنى المدير المسئول عن الميزانية الضرورية لتوفير النماذج التعليمية ، بادر عماد بالقول :

– أنا سأرعى هذا الفصل وسأوفر كل النماذج لهم ، بل وسأخصص نجارا ماهرا ليعد لهم ما يريدونه.

انتقل حماس عماد للمدير ، فابتسم ، وأبدى ارتياحه . وقال لعماد

– ليت كل الأثرياء يهتمون بالتعليم مثلك.

واتصل مدير التعليم بمديرة المدرسة ثناء ، وكتب لها رسالة رسمية بالموافقة . وعدت مع عماد ، وقد ازداد حبى له لتعامله مع الحياة بحماسة بالرغم من مرضه ، وبإبتلائه بطفليه وموت زوجته الأولى.

★ ★ ★ ★

شهدت فصول المدرسة نشاطا غريبا من المدرسين والمدرسات، وذلك بعمل اختبارات شفهية ، واختبارات إملائية على السبورة لاختيار التلاميذ الذين لم يستفيدوا من التعليم . وكان التركيز على تلاميذ الصف الرابع. وتم الاتفاق على اختيار (١٧ تلميذا) كبداية ، مع إضافة طارق وشيرين لهم ، وحاولت وداد تعطيل المشروع ، لكن كل ما نجحت فيه هو إبعاد ابنها عن الفصل المقترح.

وتم تعيينى مسئولة عن الفصل على أن تساعدنى وداد فى حصة الألعاب، وكذلك مدرسة الموسيقى نجلاء فى تخصصها.

★ ★ ★ ★

ذات مساء أحضر عماد لى رجلا نحيلا عيناه تشعان ذكاء ، وقدمه لى
- الأسطى آدم النجار.

شرحت له بأن يزودنى بمثلثات ودوائر ومربعات ومستطيلات خشبية بأحجام مختلفة ، مع لوحات خشبية محفورة بما يلائم هذه الأشكال. واتفقت معه على أن أرسم له أشكال تفاحة ، وبرتقالة . وعنقود عنب ، أيضا بأحجام مختلفة ولوحات محفورة بما يلائمها وأيضاً للطيور ، وللحيوانات .. وسأزوده تباعا بما أريد.

٢٧ - فصل دراسي مختلف
(رواية مها عما حدث)

أنا أعرف أن الحواس هى نوافذ العقل ، وهى باب المعرفة . ولذلك كان شاغلى هو تنمية الإدراك الحسى لدى أطفال فصلى . وقررت أن أبدأ من البداية ، وأن أعلمهم الأرقام.

سألتهم عن أسمائهم : قال الأول ، أنا طارق رقم (١)

قلت له :

- ارفع صوتك ، وافرد صدرك.

نفذ طارق الكلام :

- أنا طارق رقم واحد.

قالت شيرين :

- أنا شيرين رقم واحد .

صححت لها الإجابة :

- أنا شيرين رقم اثنين.

- أنا حمدى رقم اثنين.

صححت له :

- أنا حمدى رقم ثلاثة.

رفعت قلما ملونا ، وقلت لهم:

- هذا قلم واحد .

طلبت منهم أن يمسك كل منهم قلما ويرفعه لأعلى ويردد خلفى .

- قلم واحد.

وكتبت على السبورة رقم (١) ، وطلبت منهم أن يكتبوا الرقم فى الكراسة، ثم اثنان ، وثلاثة ، وأربعة ، وخمسة.

هذه كلها كانت أشياء سهلة ، وكان الجميع يعرفونها ، ويصفقون لبعضهم .

أعطيت لطارق مثلثاً خشبياً كبيراً ، وأعطيت لشيرين مثلثاً خشبياً صغيراً..

وقلت لطارق قل :

- أنا معى مثلث كبير ، وشيرين معها مثلث صغير .

شيرين رمت المثلث ، وأجهشت بالبكاء وقالت :

- لا .. أنا معى مثلث كبير..

بدلت المثلثين ، وجاء دور طارق فى الرفض.

قلت لهم

- نفذوا ما أقوله لكم حتى أحكى لكم حكاية .

- نريد الحكاية.

- اسمعوا الحكاية.

- استيقظ الكتكوت من النوم ، فلم يجد أمه. قال : صوصو .. صو صو أين ماما ؟

فوجئت بملامح الأطفال تكتسى بحزن ، كنت أعرف أنهم يتأثرون بسرعة..

رأى الكتكوت الأرنب يقفز .. سأله الكتكوت هل أنت ماما؟ ضحك الأرنب وقال للكتكوت : أنا لى أذنان كبيران ، ولى فراء من الشعر الناعم ، ولى فم أكل به الجزر .. هم .. هم .

ضحك الأطفال ، وسمعت أحدهم يقول: الكتكوت عبيط .

خرج الكتكوت من العشة ، رآه الكلب نبح فى وجهه . هو .. هو .. عد للعشة.

سأله الكتكوت هل أنت ماما ؟ ضحك الكلب وقال له : أنا كبير ، وآكل اللحم ، وأقول هو هو ومامتك تقول نق .. نق وتأكل الحبوب ، وأنا أمشى بأربع رجول ، ومامتك تمشى برجلين ، وأنا لى شعر وأمك لها ريش.

رأى الكتكوت الأوزة البيضاء تمشى بساقين جرى نحوها ، وقال لها أنت ماما. نظرت الأوزة إليه بتعجب، وقالت له ألا ترى منقارى المفرطح ؟ وجسمى الكبير ؟ .. أنا الأوزة .. وأمك الدجاجة ؟

سألها الكتكوت محتارا : وأين أمى ؟

- أنا هنا.

جاءت الدجاجة تجرى .. واحتضنت الكتكوت وقالت له أنا هنا يا حبيبى.

ضحك الأطفال ، واستخدمت حكايات مشابهة لتوصيل معلومات أولية لهم .

الفرحة تتلألأ على وجوههم عند سماع هذه الحكايات.

★ ★ ★ ★

طلبت من وداد (فى محاولة لإشراكها) أن يسير الأطفال على إيقاع طبلة. وفرحت عندما اكتشفت أن شيرين تجيد التعامل مع الطبلة ، لكنها كانت تتقن إيقاعا واحدا تكرره بشكل روتينى .

وأصر طارق أن يتعامل مع الطبلة ، ولكنه فشل ، واعترض ورمى الطبلة على الأرض معلنا غضبه. لكنى اكتشفت أن عماد زوجى يمتلك كمانا ،

ويجيد العزف عليه .

طلبت منه أن يعلم طارق العزف عليه ، واظهر طارق استعدادا كبيرا ، وتعلم من أبيه موسيقى «أنا لك على طول خليك لى».

طلبت من أبيه أن يعلمه أغنية للأطفال .. مثل ذهب الليل ، أو جدو على أو نطى نطة يا دبدوبة.

واستطاع طارق مع شيرين أن يكونا فرقة موسيقية لمصاحبة الأطفال وهم يسيرون بشكل إيقاعى ، ويصيحون ، واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة.

★ ★ ★ ★

فى فترة الراحة (الفسحة الصغيرة) ، أخرج كل من طارق وشيرين فطائر محفوظة فى ورق مفضض ، وهذا أثار باقى الأطفال والتفوا حولهما، وبدأ نوع من التبادل بين الساندويتشات الفول والطعمية والبيض والجبنة ، ولاحظت أن شيرين أقبلت على الطعمية وقررت عدم التدخل ، اكتفيت بتوجيه إرشادات خفيفة عن كيفية تناول الطعام.

وبعد أن انتهوا ، طلبت منهم أن يجمعوا المخلفات ويضعوها فى السلة المخصصة لذلك. ثم طلبت منهم أن يقفوا صفا ؟ وذهبت معهم إلى دورة المياه ليغسلوا أيديهم بالماء والصابون . وحدث بعض العبث بالماء والضحكات والصيحات . ورأيت ألا أتدخل، فقليل من المرح لا يضر.

★ ★ ★ ★

حمدى أثار اهتمامى برغبته فى النوم ، وتذكرت حديث عماد عن طفليه بأنهما كانا ينامان فى الفصل لعدم توافقهما مع الآخرين وأنا أعرف أن هناك مظهرين لاكتشاف التخلف العقلى وهما:

١ - قلة الذكاء.

٢ - عدم التوافق.

وقررت أن أشرك حمدى فى كل نشاط ، وسعدت كثيرا عندما اكتشفت أنه يجيد الرسم ، فطلبت منه أن يخرج للسبورة ويرسم عصفورة .. ثم

عصفورتين وكان رسمه جميلا ، وطلبت من التلاميذ أن يصفقوا له.

٢٨ - خطوة إلي الفرح

استيقظ الدكتور عماد مبكرا ، وهو ممتلئ بالغبطة، مها ملأت حياته بالسعادة ، وأضاءت أفقه بالأمل ، وغزلت بخيوط الحب عشاً دافئاً لقلبيهما. وحماسها أشعل الحياة فى رماد حلم كاد أن ينطفىء . لذلك قرر أن يبذل كل جهده لإسعادها ، فوعدها أن يذهب بها إلى قريتها لزيارة والديها.

لم يجدها بجانبه فى الفراش ، لكنه سمع صوتها فى حجرة شيرين. اتجه إليهما ، وجدها تمشط شعر شيرين ، وتعدها للذهاب معهما .

ضحكت شيرين عندما رأته ، وقالت له

- سنذهب إلى جدى يا بابا.

سألها عماد :

- من سيذهب ؟

- أنا وماما وبابا وطارق.

- أى فستان سترتدين ؟

- لا أعرف .. الأزرق حلو.. لا .. الأحمر .. الأصفر يعجبنى .

قالت مها

- ستلبسين بنطلونا أزرق ، وبلوزة حمراء ، وشريطاً أحمر فى شعرك ، وحذاء بلونين أحمر وأزرق .

ظهرت السعادة على وجه شيرين ، وقبلت مها ، وقالت لها

- أنا أحبك يا ماما مها.

- وأنا أحبك يا شيرين.

نظر الأب إلى ابنته ، وهو يشعر بتيار من الحنان مختلط مع مشاعر إشفاق .. خوفا عليها من المستقبل ، هذه الطفلة وأخوها لا يملكان شيئاً

سوى البراءة لمواجهة الحياة .

قال

- سأذهب أنا لأعد طارق.

ابتسمت مها ، وقالت له

- استعد أنت أولا.

ذهب عماد إلى حجرة طارق ، فوجده مرتديا ملابسه ، ويعبث فى دولاب لعبه ، وسأل أباه

- هل أخذ الكرة أم الدب أم الكمان.

قال الأب :

- تكفى الكرة ، فأنت هناك ستركب الحمار .

قال طارق

- أنا أحب الحمار.

وانصرف عماد لإعداد نفسه.

★ ★ ★ ★

طارق وشيرين يقفزان حول السيارة ، والأب نظراته تسيل حبا ، ومها تتأمل الجميع وتحمد الله الذى وهبها كل هذا الهناء ، والقلوب ممتلئة بالزهور ورحيق السعادة.

أيمن فى الشرفة .. نظراته اتجهت إلى السيارة .

كم يشعر بحنين إلى (أبلة مها) !! .. والده أحضر له مدرسة أخرى .. لم يتجاوب معها ، وفى المدرسة .. يذهب إلى فصل «مس مها» . وينظر إلى داخله ، ويتمنى أن ينضم لها

صاح وهو فى الشرفة:

- طارق.

رأه طارق قفز فى الهواء ، وأشار بيديه ، وصاح

- تعال يا أيمن معنا ، سنذهب لزيارة جدى.

لم يفهم أيمن شيئاً ، لكن هناك دعوة للحركة ، وللخروج ، وللانطلاق. هذا شئ لا يمكن مقاومته ، أسرع للخروج ، وفتح الباب . وقبل أن يخطو .. سمع صوت أبيه :

- إلى أين يا أيمن ؟

- طارق ...

- ماذا به ؟

- سيذهب لزيارة جده.

- ماذا تقول ؟! أى جد ؟!! جده هنا فى القصر.

تجمد مخ أيمن ، وشعر بخواء فى رأسه ، أطل العجز من عينيه وهو ينظر لأبيه .

وصلت السيارة أمام بيت الأستاذ كمال.

توقف عماد ، ونزل من السيارة ، حيا أخاه ، وأخذا يتهامسان .

جرى أيمن إلى السيارة ، وتبادل حديثا صاخبا مع طارق وشيرين، ظهرت أمه السيدة ماجدة ، وما أن رآها حتى شعر بالسكينة نوعا ما ، اتجهت أمه إلى مها ، وتبادلتا التحية.

وسمع أيمن أبلة مها وهى تقول

- سنذهب إلى أبى وأمى فى قرية شلش.

أمسك أيمن بفستان أمه ، وأخذ يجذبه حتى يثير انتباهها. سألته :

- ماذا تريد؟

- الذهاب معهم لشلش.

تساءلت ماجدة متعجبة

- وماذا تفعل فى شلش ؟

- أزور جدى.

- جدك هنا.

- أذهب مع طارق وشيرين.

- فى مرة أخرى.

وجاء الدكتور عماد ، وركب السيارة ، وما أن تحركت السيارة حتى انفجر أيمن فى البكاء.

ارتبكت ماجدة ، وحاولت أن تهدئه ، لكن أيمن. بدأ يصدر حركات هستيرية.

قال عماد

- دعيه يأتى معنا.

قالت ماجدة بضعف

- اسأل أباه.

كمال ينظر للجميع شذرا ، اتجه إليه عماد ، وطلب منه أن يسمح لأيمن بالذهاب معهم ، دار بينهما جدل ، وكان وجه كمال متجهما أما عماد فكان مبتسما ، ومها تنظر إليهما وقلبها يرفرف شفقة على أيمن ، وشعرت بفرحة عندما رأت ابتسامة زوجها تتسع وهو يقول لأيمن:

- إذهب ارتد ملابس مناسبة لتأتى معنا ؟ وأحضر الكاميرا معك.

صاح أيمن بفرح :

- حاضر.

★ ★ ★ ★

فاض السرور فى قلوب الأطفال الثلاثة وهم يشاهدون المناظر الغريبة عليهم ، الطريق الملتوى المترب ، الاطفال يلعبون، الأشجار على جانبى الطريق ، والحيوانات التى أثارت دهشتهم هى العنز، الحمير ، البقر ، الكلاب.

شيرين تلصق وجهها بزجاج النافذة ، وهى تصرخ عند رؤية أى شئ ، وتسأل مها ما هذا يا ماما ؟!! وتجيبها مها وتحضنها وتقبلها .

وطارق وأيمن لا يكفان عن القفز فى الكرسى الخلفى ، وأيمن يصيح بصوت عال : هذا حمار.

وطارق يصيح خلفه

- حمار .. أنا .. سأركب الحمار.

أيمن :

- لا .. أنت لا تستطيع .

غضب طارق ، وقال

- أبى قال لى .

وصاح أيمن

- هذه بطة.

قال طارق :

- جدى عنده بطة.

وقال أيمن

- وأنا أيضا.

ومها تتابع حديثهما بشغف .

★ ★ ★ ★

بكت الأم وهى تحضن ابنتها ، وبكت مها وهى تحضن أمها .

دموع الأم هى راحة الأعصاب التى كانت مشدودة كالوتر زمنا طويلا .

أما دموع مها فهى نوع من الحنين لحضن الأم ، وحنين لذكريات نسجتها يد الأمومة والانتظار والآمال والتوقع.

أما الأب فقد احتضن الدكتور عماد بإمتنان ، فهو الذى أدخل البهجة على حياتهم الراكدة.

★ ★ ★ ★

مشاعر غريبة وفوارة هزت الأم ، وهى ترى الأطفال ، وكأنها رأت بعين الخيال أنهم أحفادها ، أنهم امتدادها فى الحياة ، أنهم فعل كينونتها. بعد قليل هزت كتفيها ، وكأنها تنفض هذه المشاعر من ذاكرتها .

لكن حبورها استمر ، فضجيج الأولاد المرح يطارد الصمت البليد من

لبيت. وبدأ الأطفال ينتشرون فى البيت فى رحلة اكتشاف مذهلة لهم .

رأى الدكتور عماد أن يلاحقهم ليروض من حركاتهم الطليقة.

جاءت امرأتان من الجيران لمساعدة الأم فى إشعال الفرن لخبز الفطير المشلتت ، وأيضاً لإنضاج عدد من طواجن السمك بالأرز.

★ ★ ★ ★

خاف طارق من الحمار عندما رآه بالرغم من أنه حمار صغير. أما شيرين فقد انبهرت وضحكت عندما رأت عددا من فراخ البط الصغيرة ، لكن أيمن كان ينظر بإنبهار للخروف.

رأى الدكتور عماد أن يجمع الأطفال الثلاثة معا ، ويحاول أن يركبهم الحمار ، وهم يصرخون خوفا . فعاد إلى طفولته فى لحظة مرح مقتنصة من الزمن وركب هو الحمار .

الأطفال يشيرون إليه مذهولين ، طلب من أيمن أن يصوره. ظهرت مها وابتسمت عندما رأته ، وقالت لطارق :

- هل تحب أن تركب الحمار .

قال :

- نعم.

حملته مها لتضعه على الحمار ، لكن الحمار حرك رأسه فصرخ طارق مذعورا ، أنزلته مها ، واتجهت إلى أيمن فجرى بعيدا .

اقتربت من شيرين ، وقالت لها

- شيرين تحب بابا.

رددت شيرين خلفها

- شيرين تحب بابا.

قالت مها

- شيرين تحب أن تركب الحمار مع بابا.

رددت شيرين :

- شيرين تحب أن تركب الحمار مع بابا.

حملتها مها لتضعها على الحمار ، والدكتور مد يديه ليأخذها ، وظهر الذعر فى عينى شيرين ، وصرخت : شيرين لا تحب.

لكن الأب أخذها فى حضنه ، وقبلها.

قالت مها لأيمن :

- صور شيرين.

التقط أيمن صورة شيرين ، وهو مبهور الأنفاس.

تحرك الحمار بالدكتور عماد وابنته وشيرين جسدها يهتز.

أشار الدكتور عماد نحو أرنب يقفز ، وقال لشيرين :

- انظرى .. الأرنب .

قالت شيرين :

- أنا أحب الأرنب، أنا أريد الأرنب، أريد النزول.

ورأى الأب أن ينزلها ومها تنظر لما يحدث ، وهى متفهمة لنفسية هؤلاء الاطفال فبالرغم أن أعمارهم الحقيقية هى العاشرة فإن أعمارهم العقلية لا تتجاوز الخامسة ، وأيمن قد يصل للسابعة.

قالت للدكتور عماد : دعهم يلعبون مع الحيوانات الصغيرة والأليفة ثم تذكرت شيئاً ، وقالت لهم : إن الكلبة الكبيرة ولدت جراء صغيرة ملونة تعالوا لرؤيتها.

فرح الأطفال ، وساروا مع مها إلى حجرة فى آخر البيت الريفى مملوءة بالتبن ، وبعض الأجولة.

وجدوا ثلاثة جراء صغيرة ترضع من أمها ، وهى راقدة مستسلمة ناعسة العينين فى نوع من الرضا والاطمئنان.

صرخت شيرين ضاحكة ، وهى تشير للجراء: كلب صغير.

واقترب أيمن وتبعه طارق من الكلاب ، تنبهت الأم ففتحت عينيها ، ونظرت إليهم مستطلعة ، وانتصبت أذناها ، لكنها رأت مها فاطمأنت نوعا

ما، اقتربت مها منها ، وحيتها كيف حالك يا فردوس. ومسدت شعرها ، فاستكانت فردوس مستعذبة للحركة وطالبة للمزيد ، والأطفال ينظرون مبهورين.

قال أيمن

- أريد أن أصورها.

- صورها.

قالت شيرين

- أريد أن أحمل النونو .

قالت مها

- انتظرى حتى تنتهى من الرضعة.

ظهر والد مها، وقال لها مامتك تريدك.

شعور بالتوجس والرهبة اجتاح الأطفال. أدرك الرجل مشاعرهم ، فابتسم لهم، وقال :

- سأعطيكم هذه الجراء الصغيرة فمن يريد البيضاء.

قالت شيرين :

- أنا.

- من يريد المنقط ؟

قال طارق

- أنا آخذ المقطط .

- من يريد البرتقالى ؟

قال أيمن :

- أنا.

- هيا فليسم كل منكم كلبه.

قالت شيرين

- كلبى اسمه لاسى.

قال طارق

- لا .. كلبى أنا لاسى.

قال أيمن

- لاسى كلب كبير ، أنا أسمى كلبى زوزو.

شاع جو من الألفة بين الجد والأولاد ، فانسحبت مها بهدوء ، ولم يشعر بها أحد .

قال الجد لهم

- تعالوا نؤكل العنز والجديان الصغيرة.

فرح الأطفال ، وذهبوا معه إلى الحظيرة ، أعطاهم الجد بعض الحشائش وقدموها للجديان الصغيرة.

نظرات طارق ثبتت على الخروف ، قال الجد له :

- هذا خروف وجسمه مغطى بالصوف.

سأل طارق :

- صوف !!

حرك الجد يده على جسد الخروف قائلاً:

- هذا صوف تعال المسه بيدك.

تقدم طارق خائفاً ، أمسك الجد بيده وحركها .

قال أيمن :

- أريد أن ألعب الكرة.

قال طارق :

- وأنا.

قالت شيرين

- وأنا.

ظهر الدكتور عماد وقال :

- تعالوا نلعب معا.

تركهم الجد وانصرف وهو سعيد لوجودهم فقد أشاعوا المرح فى يومه.

وقف عماد فى الوسط ، وأخذ يقذف الكرة للأطفال ، وقال لهم:

- من تقع الكرة منه ثلاث مرات يخرج من الدائرة.

ظهر الملل على شيرين ، وجلست بعيداً.

قال عماد لها

- ارسمى دائرة واحجلى حولها على رجل واحدة .

قالت شيرين :

- لا أعرف رسمها.

قال أيمن :

- أنا أعرف.

- ارسم.

رسم دائرة صغيرة ، قال الدكتور عماد

- ارسم دائرة كبيرة .

توقف حائراً.

أمسك عماد يده ، ورسم دائرة كبيرة ، وقال:

- كل واحد يحجل حول الدائرة مرة ، وسنرى من يكمل الدائرة بدون أن يقع.

وبدأ الأولاد فى اللعب وهم يتصايحون.

تركهم عماد ، وانصرف إلى حجرة خالية فقد شعر بالإرهاق .

بعد قليل ، سمعت مها صوت بكاء طارق ، فخرجت من المطبخ مسرعة لترى ماذا حدث.

كان طارق يبكى ، بل ويصرخ ، فقد تسلق سلما خشبيا (نقالى) ووصل لمنتصفه ، وشعر بالخوف ، وأصبح لا يستطيع الصعود ويخاف من النزول ، ووجد نفسه فى حالة عجز كامل ، وأصاب بكاؤه شيرين بالخوف والعجز

فبكت هى أيضاً.

ونادى أيمن عمه الدكتور عماد بهلع :

- عمو عماد .. إلحق يا عمو طارق سيقع.

جاءت مها ، ورأت المنظر ، قالت لطارق :

- لا تخف .. أنا قادمة إليك .

وظهر الدكتور عماد والإجهاد ظاهر على وجهه ، ونضح به صوته ، وقال لها

- أنا سأصعد لإحضاره .

وتسلق عماد السلم ، وأمسك بطارق ، ونزل به ، وهو يهدئه.

وقال له

- أنت أصبحت كبيرا .. بتطلع السلم وحدك.

طارق:

- السلم وحش ، أنا كنت أريد برج الحمام.

وأخيراً نزل به ، وأمسك بالسلم ، وأرقده على الأرض .

قال عماد

- إلعبوا بعيداً عن السلم.

وانسحب مرة أخرى للحجرة.

لكن مها رأت أن تزيل الخوف من نفسية طارق. فسارت على درجات السلم وهو موضوع على الأرض ذهابا وإيابا، وقالت لأيمن

- هيا سر على درجات السلم مثلى.

بعد تردد قليل سار أيمن ، صفقت مها له ، وطلبت منه أن يعيد الكرة مرات ومرات.

وهذا أثار شيرين ، فرأت أن تقلده ونجحت ، وصفقت مها لها ، وطلبت من طارق أن يسير على درجات السلم ، فنظر إليها ، وكأنه يتعجب لهذا الطلب ، فأمسكت بيده وشجعته وسارت معه ، وقالت له أنت ذكى ، ولم تقع ، هيا سر وحدك. فسار وهو يرتعش ، لكنه أنهى الدرجات بدون أن يقع

فصفقت مها له ، وطلبت منه أن يعاود الكرة وشجعته إلى أن سار وحده بدون خوف.

★ ★ ★ ★

سمعت مها صوت أمها تناديها للغداء ، فقالت للأطفال هيا نغسل الأطباق ، ونعد المائدة.

قالت لطارق أنت تأخذ جردلا، تضع فيه بعض الماء وتنظف المائدة ، وأيمن ينظف الكراسى ، وشيرين تغسل الاطباق ، وحرصت على أن تتم كل المهام تحت إشرافها ولا تتدخل إلا للضرورة مع تقليل التوجيهات والإكثار من المديح.

وعندما ذهبت لاستدعاء الدكتور عماد وجدته راقدا . وكان يشعر بآلام حادة ، ولكنه عندما رآها تظاهر بالهدوء ، قالت له

- هيا الغداء يا حبيبى.

ابتسم لها ، وقال :

- أنت هدية السماء لنا .

كلماته أسعدتها ، وأشعرتها بالرضا والامتنان له ولله الذى وهبها هذه الأسرة.

أما الشئ الذى ثبت فى ذهن طارق هو برج الحمام الذى لم يستطع رؤيته ، والمبنى فوق سطح البيت ، والحمام يطير حوله.

٢٩- أيمن يتذكر

أيمن يشعر أن الأستاذة مها هى فقط التى تشيع السكون فى روحه المضطربة، أمواج القلق الهادرة فى روحه تتبدد فى وجودها. فرح أيمن كثيرا لزواج عمه عماد من أستاذته مها.

★ ★ ★ ★

كمال والد أيمن تتحكم فيه نظرية الفوارق الطبقية، وهو ينظر لمها كمتسلقة، نبتة طفيلية يجب إبعادها عن القصر.

★ ★ ★ ★

ماجدة التى كانت تحب مها كمدرسة لابنها، وتحاول معه لإنقاذه من اضطراباته، وتعمل على تفوقه الدراسى. والآن أصبحت تكرهها لأنها أصبحت منافسة لها فى القصر واعتنقت فكرة زوجها أن مها نبتة طفيلية يجب إبعادها عن القصر وأيضاً يجب إبعادها عن أيمن .

★ ★ ★ ★

أيمن رأى مها، وطارق وشيرين يسيرون فى اتجاه المبنى الذى يتعبد فيه صقر، يركب دراجته ليلحق بهم، صوت أبيه جمد حركته..

- إلى أين أنت ذاهب يا ولد ؟
- أبلة مها ...
- ماذا بها ؟
- جاءت من الغردقة ...
- ثم ماذا ؟!
- إنها زوجة عمى.
- زوجة عمك، وليست أمك، عد لأمك .

★ ★ ★ ★

وظهرت الأستاذة وداد فى القصر.

قالت أمه له: ستكون الأستاذة وداد مدرستك بدلا من الأستاذة مها التى تزوجت وأصبحت غير متفرغة للتدريس.

حاول أن يصرخ رافضا، لكن صراخه داخلى، هو يكلم داخله كثيراً.

ولا يخرج كلامه للآخرين، الأستاذة مها هى فقط التى يستطيع الكلام معها، بل ينطلق فى الكلام معها، لها قدرة خارقة فى أن تخرجه من داخله، وتحطم كل السدود التى تحجز مشاعره خلفها.

★ ★ ★ ★

وداد سعيدة لتكليفها بالتدريس لأيمن، فقد خصصوا مبلغاً كبيراً لها، لكنها فى داخلها مغتاظة من مها فهى قد أخذت الجمل بما حمل، وأصبحت غير محتاجة للتدريس، بالرغم من أنها أخذت أجازة فقط.

المهم أنها فى حجرة أيمن قدمت له قطعة حلوى، ولكنه رفضها. وجهه

متجهم. عليها أن تتغلب على نفوره، فقالت له متوددة:

- أنا أعرف أنك تحب أبلة مها، وأنا أيضا أحبها، لكنها الآن ابتعدت عن التدريس.

صرخ أيمن بقوة:

- لا.

صوته وصل لأبيه فى حجرته، فصاح هو أيضاً

- يا ولد !!

ارتد أيمن للداخل، وبكى بدون دموع، كثرت السدود فى أعماقه.

بذلت وداد مجهودا محموما معه، لكنه لا يفهم منها شيئا، ولا يجد فى رأسه سوى دوامات عاصفة، وذرات ملتهبة، ولوحة سوداء بدلا من الذاكرة، ينظر لمدرسته وداد ذاهلا. فتقرأ الفراغ والجهل فى نظراته. وفشلت معه فى الدرس الأول.

وفى المرة التالية قررت أن تعرف مستواه فى المواد السابقة التى درستها مها له، لكى تندد بها، وفوجئت بأن الولد على معرفة لا بأس بها، وخاصة بالقياس لمستواه الفكرى، بل وبالمقارنة لابنها فهو يعتبر متفوقا.

وأخيرا اختفت وداد كما ظهرت، لكن حقدها على مها أصبح مركبا.

ظهور مها فى المدرسة بدد الغيوم من أفق أيمن. فرح عندما رآها، وهى فى طريقها إلى حجرة المدرسات .

جرى إليها، ووقف أمامها صامتا، لا يدرى ماذا يقول، ابتسمت له، وأمسكته من يده، وسارت معه قليلا، وقالت له: أنا أعرف ما بك .

كلماتها غسلت أحزانه، أعطته قصة «ساحر أوز»، وقالت له اشتريتها خصيصا لك، إقرأها، وستحكيها لى، أو أحكيها لك، والآن اذهب إلى فصلك.

أيمن لا يفارق خيال مها، وهى تحرص على أن تهديه هدايا كثيرة فى محاولة للتغلب على الإحساس بالحرمان الذى يدفعه للسرقة وأيمن يشعر

بعطفها وحنانها ورغبتها الصادقة فى مساعدته، ولذلك فهو يود أن يكون معها فى كل مكان، وهذا ما جعله واقفا صامتا ورافضا.

قالت له:

- أنا أدرس الآن للأطفال المتأخرين فى الدراسة .

- أريد .. أريد .. أن أكون معك .

- الفصل غير ملائم لك، إذهب الآن، وسأجد طريقة للتدريس لك.

دائما تفتح له طاقة الأمل، ذهب إلى فصله وهو يجر قدميه.

★ ★ ★ ★

واجهت مها مشكلة من باقي تلاميذ المدرسة فهم يسخرون من تلاميذ فصلها، ويقولون عنهم: متخلفون. وعليها أن تعالج هذا الموقف.

★ ★ ★ ★

قوة قاهرة تدفع أيمن للذهاب إلى فصل الأستاذة مها، ويقف خارج الفصل، يسمع ضحكات تلاميذها ومرحهم، والأهم أن يسمع صوتها، وهو ينشر السلام، ويزرع الأمل. خياله يجسد مدينة مسحورة مليئة بالألعاب والأزهار والطيور الملونة.

فاجأته ثناء مديرة المدرسة وهو واقف خارج الفصل صاحت: ماذا تفعل هناك يا ولد ؟ أين فصلك ؟

أخرجته من عالمه الخيالى المسحور إلى العالم الواقعى الخشن . ارتعش وأراد أن يجرى لكنه لم يستطع.

اقتربت ثناء منه، حملقت فيه، وقالت : أنت أيمن !! ماذا بك ؟! تعال معى.

أخذته إلى مكتبها، وهو يرتعش، هدأته، وسألته عن سبب وقوفه.

جاءت الأبلة وداد، رأته عبست، وتساءلت عن سبب تركه للفصل.

قالت ثناء: كان يقف عند فصل مها.

قالت وداد: إنه يقف هناك دائماً، يترك فصله ويذهب للمتخلفين الذين

ينتمى إليهم .

صاحت فيها ثناء محذرة ومؤنبة : وداد !!

قالت وداد ساخطة : ماذا أفعل يا رئيسة معه، ومع مها التى تشجعه.

نظرت المديرة إلى أيمن، وابتسمت له كأنها تعتذر، وقالت له :

- إذهب إلى فصلك، ولا تجئ لفصل الأستاذة مها.

★ ★ ★ ★

ذهبت مها إلى مكان خلوة الجد الحاج صقر، وهى تشعر أن الحاج صقر يعيش فى جزيرة منعزلة.

ألقت السلام عليه، وجلست بالقرب منه، وجهه يشع صفاء، تساءلت مها:-

كيف يشف الجسد ويتحول لذرات نورانية ؟

قال لها من خلال ابتسامة عذبة:

- أنت تبلين بلاء حسنا مع الأطفال.

- هم يحتاجونك.

ابتسامته تضئ وجهه، وقال بأسى:

- هم يخافون منى.

- بدد هذا الخوف.

لمعت نظرة خاطفة من عينيه، وسألها: كيف ؟

أعطته علبة حلوى، وقالت له: احتفظ بها، وعند مجيئى مع الاطفال، قدم لهما الحلوى، ولاعبهما.

مها تشعر بأن الحاج صقر فقد التواصل مع الآخرين، فلجأ للكتب والعبادة والأفكار المجردة، وقررت هى أن تعيده للتعامل مع البشر، وهم كتب الحياة التى تنطق بحكمة الله. هز الحاج رأسه مرات، وقال لها:

- أنت جوهرة هذا القصر.

- بل أنت جوهرته.

★ ★ ★ ★

فى وقت الغروب اصطحبت مها طارق وشيرين، وقالت لهما:

- سنذهب إلى مكان جميل نحكى فيه ونأكل حلوى.

سأل طارق:

- أين ؟

- عند جدو صقر.

قالت شيرين:

- جدو صقر وحش.

- لا يصح أن تقولى هذا عن جدو، وسترين أنه جميل، ويحكى حكايات جميلة.

سأل طارق:

- ما هى هذه الحكايات ؟

- اسأله عنها .

سألت شيرين:

- هل يعرف سندريللا ؟

- نعم سندريللا، والأميرة النائمة، والطيور البيضاء وسندباد وهايدى.

طارق:

- أريد الذهاب لجدى.

★ ★ ★ ★

رحب بهم الجد، وهو يبتسم، وأعطاهما كمية من الحلوى.

شيرين سألته:

- هل تعرف سندريللا يا جدى ؟

نظر الحاج صقر لها، فهزت رأسها له، ضحك، وقال

- نعم ... أعرف سندريللا، وسأحكيها لكم.

اكتملت فرحة الجميع عندما جاء أيمن بدراجته، وصاح فرحا عندما

رأهم: أنتم هنا ؟!

قال الجد: تعال يا أيمن لتسمع سندريللا.

هذه المرة الأولى التى يسمع أيمن بمثل هذا الكلام من جده.

قص الجد حكاية سندريللا، وأعطى أيمن نصيبه من الحلوى.

وشعر أيمن بسعادة تملأ أعماقه.

قالت مها: ما رأيكم لو نجتمع كل مغرب، ونصلى المغرب مع جدو صقر، ونستمع لحكاياته.

الحاج صقر نظر لها بإمتنان، وأدرك أنها تساعده على قراءة كتب الله الحية.

نظرت مها لأيمن، وقالت: وأستأنف أنا الدرس مع أيمن.

لاحظت السيدة ماجدة أن ابنها يأخذ حقيبة الكتب معه كل غروب ويذهب فى اتجاه قاعة جده، ولا يعود إلا بعد العشاء شعرت بجمر يحرق صدرها من مها، فزواجها من عماد حرم ابنها من الدرس، وهى كانت تجيد التعامل معه.

وماجدة نفسها كانت تحبها كمدرسة لكنها أصبحت تكرهها عندما أصبحت زوجة للدكتور عماد، هى متسلقة كما يقول زوجها كمال عنها، هى اتخذت الدرس لأيمن كمصيدة.. اصطادت بها عماد وليتها حفظت الجميل، لكن نحن من أبعدناها، وهى عادت للمدرسة، وسمعت أنها تدرس للأطفال بطيئى الفهم، والمدرسة وداد تكرهها، وتقول عنها إنها تحب الظهور، ولا تدرس للأولاد، ولكنها تحكى لهم حكايات.

حقا إنها تجيد الحكايات.

لكن هذا الولد أيمن. ماذا يفعل بحقيبة كتبه ؟ سأنتظره وأسأله، وأعرف ماذا يجرى .

جاء أيمن، وجدها تنتظره فى الحجرة، وهى متحفزة سألته:

- أين كنت ؟

متلعثما قال:

- عند جدى.

- ماذا تفعل عند جدك ؟

- أذاكر .

- ما شاء الله !! تذاكر عند جدك.. هذا شئ جديد. وفتحت حقيبته، وفوجئت بحافظة نقود فاخرة.

سألته :

- ما هذه ؟

- حافظة نقود.

- من أين تحصلت عليها ؟

- من جدى .

- لا تكذب .. قل الحقيقة.

- من جدى.

تركتها له، وانتوت أمراً.

فى اليوم التالى، قبل الغروب بقليل ، ركب أيمن دراجته، ووضع حقيبته أمامه، وأسرع إلى قاعة جده.

انتظرت حتى رأته يدخل القاعة، وذهبت سيرا على الأقدام لتكون المفاجأة كاملة، لو ذهبت بالسيارة سيسمعون صوت الموتور ويأخذون حذرهم.

وصلت إلى القاعة، سارت بهدوء وحذر، وقفت مذهولة مما ترى، فالجد يؤم مها وأيمن وطارق وشيرين فى الصلاة. اختفت قليلا، وانتظرت، ثم نظرت للداخل وجدت الجد يحكى حكاية للطفلين، وطارق يجلس عن يمينه، وشيرين تجلس عن يساره، وفى ركن من القاعة كانت مها تشرح لأيمن درس عربى.

انفجر قلبها حنانا، وسالت دموعها، ووقفت مرتعشة. رآها الجد، قال لها

بصوت عميق: أهلا أم أيمن.

فقد كانت المرة الأولى التى تحضر فيها للقاعة.

★ ★ ★ ★

فى طريق العودة من عند الجد سألت ماجدة مها:

- هل أنت أعطيت أيمن حافظة نقود ؟

- نعم، وأعطيته هدايا كثيرة.

- لماذا ؟!

- جاء الوقت للمكاشفة... أيمن مصاب بداء السرقة.

- ماذا تقولين ؟!

- أرجوك أن تفهمي، أيمن تدفعه دوافع نفسية، هو يشعر بالحرمان، ولا يشعر بالخصوصية.

- لا أفهم عليك .

- افتحى دولابه .. ستجدين ألعابا كثيرة سرقها من أبناء عمه، لشعوره أنهم يمتلكون، وهو لا يمتلك. كما أنه لا يعيش فى حجرة خاصة به بالرغم من توفر الحجرات يجب أن يشعر بأن له أشياء خاصة وأن نحترم خصوصيته، وألا نجعله يشعر بالحرمان، افتحى دولابه واسألى نفسك من اشترى له هذه الهدايا.

وفى حجرة أيمن، أخذت ماجدة المفتاح منه، وفتحت الدولاب، وفوجئت بكم الألعاب الموجودة، ولا تعرف عنها شيئا.

ارتجف جسدها، وشعرت بالدوار. ورأت أن مها هى المنقذة بالنسبة لها ولأيمن. وهتفت من أعماقها: يا حبيبتى يا مها !!

★ ★ ★ ★

مها تدرك أن هناك سبباً آخر مهماً يدفع أيمن للسرقة بشكل غير واع.

وهو أن الطفل يحتاج لقدوة فى سلوكه، وأهم قدوة له والداه، وأيمن يرى أمه تحب اقتناء الذهب، ويرى أباه يسعى للمال والاقتناء بشكل شره قد

يخلو من الأمانة. هذا دافع تدركه مها، ولا يمكنها تغييره حالياً.

★ ★ ★ ★

ذهبت ماجدة إلى مها ... فى القاعة التى يتعبد فيها الجد وطلبت أن تتنزه قليلا مع مها بين الحقول المزروعة فى القصر، أصر الأطفال على الذهاب معهما، لكن الجد أغراهم بحكاية الأميرة النائمة، ففضلوا الجلوس إلى الجد.

وسارت ماجدة مع مها، وقالت لها

- أنا لا أطمئن على أيمن إلا معك .

- ماذا تقصدين ؟

- أرجوك ، انقلى أيمن إلى فصلك.

- سأنقله، وسيكون له منهج مختلف عن التلاميذ.

★ ★ ★ ★

فى اليوم التالى فاجأت مها تلميذها أيمن بالقول: من اليوم ستنضم لفصلى، وسأشرف على تعليمك.

فى الفصل قدمته مها للتلاميذ، وطلبت منهم أن يرحبوا به والتفتت إليه قائلة : هيا قدم نفسك.

- اسمى أيمن كمال صقر.

صفق الأطفال له، وهذا كان له فعل السحر فى أعماق أيمن المضطربة.

٣٠- فصل عصافير الجنة

(مها تحكى عن اسم الفصل الجديد)

لمعت فكرة السلم النقالى «الذى رأيته فى القرية» فى ذهنى . بل وطاردتنى صورته فى نومى.

عماد بحسه المرهف شعر بحالتى، فسألنى برقة هامسة:

- ماذا يشغل ذهنك يا حبيبتى ؟

كلماته توقظ المشاعر الدافئة فى أعماقى .

قلت له:

- السلم النقالى.

نظر إلىّ متعجبا وتساءل:

- ماذا ؟!

- السلم النقالى.. إنه بسيط، ولكنه سيساعد الأطفال كثيرا .

ثم التفت إليه، واستطردت :

- هذا السلم سيساعدنى فى تعليمهم الحساب، وأيضاً فى تقوية أجسامهم، أو بمعنى آخر تقوية إدراكهم الحسى.

ابتسم عماد، وقال:

- حياتك امتلأت بهؤلاء الأطفال.

- إنهم ملائكة.

- سأكلف آدم النجار بأن يصنع لك سلما.

- لا ، أريده أن يصنعه هنا فى ساحة القصر.

- لماذا ؟

- من أجل طارق وشيرين وأيمن .

وجاء الأسطى آدم النجار فى سيارة نقل صغيرة، ودخل إلى القصر، رآه الأستاذ كمال، وتساءل غاضباً:

- إلى أين ؟

- إلى بيت الدكتور عماد.

همهم كمال، وأشاح بوجهه، وترك آدم يدخل بسيارته. أنزل آدم عرقين خشب، وعددا من العارضات الخشبية وصندوق عدة.

جاء أيمن بدراجته، عيناه تلمعان بالسرور، واتجه للأسطى آدم، وسأله بلهفة وفضول:

- ماذا ستفعل ؟

- سلم

قال أيمن وهو يضحك :

- سأساعدك.

قال طارق:

- وأنا أيضاً.

وأسرعت شيرين بالقول:

- وأنا.

سألنى الأسطى آدم:

- ما طول السلم ؟

- ثلاثة أمتار.

وضع العرقين على الأرضية، وأخرج مترا، وقاس، أيمن يلاحقه بالقول:

- أريد أن أعرف.

قلت للأسطى آدم:

- أرجوك... تكلم عن كل خطوة تصنعها ، فالمقصود تعليم الأولاد.

ابتسم آدم، وقال :

- يعنى أنا مدرس.

- نعم أنت مدرس.

سعد آدم بتعليقى، وأخذ يشرح للأطفال، وأيمن يلاحقه:

- ما هذا يا عم آدم ؟

- منشار.

سألته شيرين

- وما هذا ؟

- شاكوش.

وسأله طارق:

- وما هذا ؟

- فأرة.

ضحك الأطفال ، وأخذوا يرددون كلمة فأرة كثيراً، لكن أيمن سأله:

- ماذا تصنع بها ؟

- لتنعيم سطح الخشب وتسويته .

أمسكت شيرين بفرخ ورق غريب، وسألت:

- ما هذا ؟

- صنفرة.

سأله طارق:

- ماذا تصنع بها ؟

- للتنعيم النهائى.

قال أيمن :

- مثل الفأرة يعنى.

نظر إليه آدم ولم يجبه.

وبدأ آدم فى وضع العارضات، اعترض أيمن، وطلب تضييق المسافات لأن السلم مخصص للأطفال.

نظر آدم إليه معجباً، وقال لى:

- هذا ولد ذكى.

قضى أيمن وطارق وشيرين وقتا ممتعا فى متابعة آدم حتى انتهى من عمله.

قال أيمن: هذا السلم يكون أجمل لو كان ملونا.

نظر آدم إليه بغيظ ، وقال: لونه أنت .

قال أيمن نعم سألونه أنا.

غادرنا آدم بعد أن انتهى من صنع السلم، واقترب أيمن منى، وقال: ندهن كل درجة بلون ونكتب العدد... ، ورأيت أن هذه فكرة جيدة، فنكتب

الدرجة الأولى، واحد والثانية اثنان ...إلى ٩ درجات وهكذا أعلمهم الأرقام بسهولة .

فى اليوم التالى أخذنى عماد فى السيارة ومعى طارق وشيرين وأيمن واشترينا ثلاث فرش، وعدداً من علب الدهانات الجاهزة ذات الألوان المختلفة، واشتركنا جميعاً عماد وأنا وأيمن وطارق وشيرين فى دهان السلم وكتابة الألوان، وأصبح السلم لعبة جميلة.

واكتشفت أن أيمن يمتلك قوة خالقة، ولكنها مكبوتة بسبب سيطرة أبيه، وجهل أمه.

زاط الأطفال عندما رأوا السلم فى الفصل، وتجمعوا حوله مسرورين ومتسائلين.

جاءت المديرة ثناء على صياحهم، وسألت :

- ما هذا ؟!

- سلم .

- لن أسمح بهذا يا أبلة ، فأنا لا أريد حوادث فى المدرسة.

- أية حوادث ؟

- سقوط الأولاد من على السلم.

- هذا سلم تعليمى، وسيوضع على الأرض ليسير عليه الأولاد ويتعلمون الأرقام.

استدعتنى المديرة ثناء إلى حجرتها، وقالت لى:

- أنت متأخرة فى المنهج يا أبلة.

- أنا أبدأ من الأساسيات.

- أنت تأخرت كثيرا.

- أحيانا نكسب الوقت حين نؤخره.

- ماذا ؟!

- أنا أتعامل مع أطفال عمرهم العقلى لا يتجاوز السادسة.

- لكنهم يعرفون هذه الأرقام.

- أنا أبدأ معهم بأشياء معروفة لأعزز ثقتهم فى أنفسهم.

- لا أفهم.

- الأمل المكتسب يكون نتيجة لتكرار التجارب الناجحة وكذلك العجز المكتسب يكون نتيجة لتكرار التجارب الفاشلة.

هزت المديرة ثناء رأسها، وقالت :

- سنرى النتيجة فى نهاية العام.

لم يهزنى تهديد المديرة لأنى مطمئنة لطريقة تعليم الأولاد، فهم الآن يعرفون أشياء ، وأنا أحاول تكوين ذاكرة معرفية لهم، وقد نجحوا فى كتابة وقراءة عدد من الجمل مثل أنا أحب بابا، أنا أحب ماما، أنا أحب أخى ، أنا أحب أختى ، أنا أحب مدرستى.

وبالرغم من ذلك، ثرت، وأحسست بالضيق، عندما قرأت جملة (فصل المتخلفين) مكتوبة على الباب من الخارج بقلم فلوماستر ، ورأيت ولدين يجريان بعيدا وهما يضحكان عرفتهما، إنهما الولد سليم من قرية المندرة ، والولد فتحى من قرية بنى يحيى.

ناديت عليهما، ولكنهما اختفيا، كنت أريد منهما أن يزيلا الكلمة فقط.

وأحضرت كوبا من الماء وقطعة قماش وأزلت الكلمة.

لكن موجة هادرة من الغضب عصفت بى عندما قرأت كلمة «فصل المتخلفين» فى اليوم التالى.

ذهبت للمديرة ثناء، وأخبرتها بما حدث، صمتت طويلا وقالت لى:

- ماذا أفعل لك، اهدئى ودعينا نفكر.

بعد قليل، قالت لى :

- علينا أن ننبه على التلاميذ فى الطابور.

تذكرت ما حدث لأيمن من قبل، وقلت:

- لا ...

- ماذا ستفعلين ؟
- سأمر على الفصول، وأتحدث أنا مع التلاميذ .
- لك هذا.

★ ★ ★ ★

دخلت فصل رابعة أول، نظرتي التقت بنظرات التلميذ سليم، نكس رأسه، وشمله الاضطراب، أنا أريد أن أوجههم بحب ، لذلك تمالكت أعصابي، وابتسمت لهم، الابتسامة أشاعت جوا أليفا وأتاحت لى أن أقول لهم:

- العصفورة الأم كانت حزينة لأن العصفورة الصغيرة ابنتها لا تستطيع الطيران، بسبب أجنحتها الضعيفة ، ربنا خلقها هكذا. العصفورة الأم تحاول تدريب العصفورة الصغيرة على الطيران، لكنها كانت تسقط على الأرض، وما أحزن الأم كثيرا أن باقى العصافير تسخر من ابنتها ويقولون متخلفة.

جاء عصفور حكيم، وقال للعصافير الصغيرة ربنا يطالبنا بمساعدة الضعيف لا السخرية منه.

العصافير فهمت الدرس، وساعدت العصفورة الصغيرة على الطيران حتى قوى جناحها وطارت وحدها.

التلاميذ كانوا يستمعون للحكاية بإهتمام، بل ورأيت بعضهم يحاول أن يمسح دموعه، وأنا لم أزد كلمة، وانتقلت من فصل لآخر أحكى هذه الحكاية، ومن بعدها لم يكتب التلاميذ على باب الفصل عبارات جارحة.

وحكيت لعماد هذه الحكاية، فقال لى: أكتبى لافتة جميلة على باب فصلك.

وبعد تفكير كتبت لافتة «فصل عصافير الجنة».

٣١- مها مازالت تحكي عن عصافير الجنة

لعبة السلم هذه وجدت قبولاً عند عصافير الجنة. وهذا ساعدهم على مزيد من التعلم حتى أننى غيرت الأرقام وجعلتها (١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤ ... ١٨).

تقدم الأطفال أثار فى أعماق روحى بهجة مثل ابتسامة الأمل. إلى أن كان يوماً، دخلت الفصل فى الصباح فلم أجد السلم. ووجدت الأطفال يتساءلون عنه: «السلم، من أخذه؟، ولماذا؟، ذهبت للمديرة ثناء وأنا أشتعل غضباً، وسألتها: من أخذ السلم؟ بهدوء .

قالت لى:

- أى سلم؟

-- الذى أعلم الأطفال به.

صمتت المديرة، وقالت:

- لقد أحضرت لك مجموعة من مجلات الأطفال، استخدميها فى التعليم بدلاً من السلم هذا.

قلت بعناد:

- من الذى أخذه؟

قالت بهدوء:

- اسمعى، السلم هذا يثير المشاكل فى المدرسة، تخيلى مجىء أحد الموجهين للمدرسة، ودخل فصلك ورأى السلم ماذا يكون موقفى أنا؟

- إنه وسيلة إيضاح ياسيادة المديرة.

- أنا أحضرت لك عدداً من المجلات، وعدداً من صور الطيور والحيوانات للإيضاح، ووسائل التعليم كثيرة، وأنت مدرسة ذكية.

انصرفت من عند المديرة وجمر الغضب يحرق صدرى.

فى البيت لاحظ عماد حالتى، فسألنى عما بى، وعندما أخبرته ابتسم، وقال لى: على الحياة أن تكون جهاداً متصلاً، ولا تجعلى السلم عقبة فى طريق رسالتك.

فى اليوم التالى وضعت صور الطيور أمامى، كانت لوحات تمثل صور (البطة، والحمامة، والعصفورة، والدجاجة).

وضعت صورة البطة على السبورة، وسألت التلاميذ:

- ما هذه؟

- بطة.

كتبت كلمة بطة بحروف ملونة، وطلبت منهم أن يكتبوها ثم حمامة...

لكننى كنت أريد أن أحول الدرس إلى لغز أو مسابقة أو أحجية لأحرك الذاكرة الراكدة فى عقولهم.

فسألتهم، من أكبر:

- البطة أم العصفورة؟

رفعت شيرين يدها، وقالت:

- أنا أحب العصفورة.

- نعم، لكن من أكبر: البطة أم العصفورة؟

قالت:

- العصفورة.. أنا أحب العصفورة.

ناديت أيمن وأوقفته بجوارى، وسألتهم:

- من أكبر: أنا أم أيمن؟

- أنت يا أبلة كبيرة وحلوة.

ابتسمت عند سماعى كلمة كبيرة وحلوة.. وعرفت أن طارق هو القائل.

استغرقت وقتاً حتى أصل إلى عقولهم ليعرفوا المقارنة. وطلبت منهم أن يرتبوا صور الطيور من الكبير للصغير. وخرج كل منهم للسبورة يرتب الصور وهو يشعر بزهو.

بعد ذلك طلبت منهم أن يرتبوا صور الطيور من الصغير للكبير.

فتحت المديرة ثناء باب الفصل، ورأت الصور على السبورة والتلاميذ يرتبونها، فابتسمت وغادرت الفصل بدون كلمة.

«على الحياة أن تكون جهاداً متصلاً».

كلمات زوجى الدكتور عماد، دائماً ترن فى أذنى، وتتجسد فى

أعماقى، وتمحورت حياتى حول تلاميذى.

حتى أنه عن لى أن أراقبهم فى حصة الألعاب مع أبلة وداد. وللأسف رأيت بعضهم يلعب بالكرة، والبعض يسير بدون هدف والبعض جالس فى كسل وبلادة.

سألت عن أبلة وداد، فسمعت إجابات متداخلة.

فقلت لهم:

- من يريد أن يلعب كرة؟

رفع بعضهم أصبعه، كونت منهم دائرة وقلت لهم:

- من تقع منه الكرة سيخرج من الدائرة.. لنرى من هو الفائز.

كنت أريد أن أدخل إلى عقولهم عامل الحافز لأحركهم.

ثم أخذت الباقى منهم، وسألتهم: من يعرف مشية الأرنب؟ فضحكوا، وجميعهم قالوا: أنا.

أشرت إلى أحدهم، وطلبت منه أن يرينى مشية الأرنب فلم يعرف، فطلبت منه أن يجلس على الأرض ويستند على يديه ورجليه، ففعل، ثم طلبت منه أن يقفز، فلم يعرف.

أخذت أصحح له الحركة.. حتى عرف وبدأ يقفز، وطلبت من الآخرين أن يقلدوه. وقلت لهم ستتسابقون، ونرى من هو الفائز. كل لعبة حولتها لمسابقة، وكل درس حولته للغز.

أنا أعرف أن الأطفال المختلفين لا يوجد لديهم دافع داخلى، أو الدافع الداخلى يكون ضعيفاً، ويتحركون فقط بقوة الغريزة والتقليد، وعلىَّ أنا أن أعطيهم الدافع الخارجى وأبرزه وأكرره حتى يكون جزءاً من حياتهم.

وجاءت أبلة وداد قرب نهاية الحصة، ووجدتنى، فاكتسى وجهها بالغضب، وتعاملت معى بتجاهل، وقالت ساخرة:

- أنت مدرسة الألعاب الجديدة؟!

قلت لها:

- وجدت الأطفال وحدهم.. يعبثون.

قالت بحدة:

- إنها حصة ألعاب ياحبيبتى.

قلت لها بصرامة:

- إن أطفالى مختلفون، وسألازمهم دائماً.

قالت بعداء واضح:

- سأرفع الأمر للمديرة.

المديرة ثناء استمعت لكل منا معاً.

ثم انفردت بأبلة وداد، ولا أدرى ماذا قالت لها. ولكنها استدعتنى، وسألتنى:

- هل يسعدك أن تقومى بحصة الألعاب مع أطفالك؟

- نعم.

- حسناً فلتقومى بها، لكنى لن أحسبها لك فى جدولك .

- فقبلت.

أما مدرسة الموسيقى أبلة نجلاء فكانت أكثر وداً وتعاوناً من أبلة وداد فقد قبلت بوجودى مع الأطفال فى حصة الموسيقى.

أنا أرغب فى اكتشاف نواحى التميز عند كل تلميذ، ومن رحمة ربنا جل جلاله أنه أعطى هؤلاء الأطفال قدرات عالية فى نواحى أخرى، وعلى الآباء والمربين والمدرسين اكتشاف هذه القدرات.

هذا إيمان راسخ عندى، مما يدفعنى لمتابعتهم، واستثارة قدراتهم.

ولسعادتى اكتشفت قدرات بعضهم فى تعلم العزف على بعض الآلات، هذا بجانب قدرات شيرين فى العزف على الطبلة وقدرات طارق فى العزف على الكمان.

أما أيمن فقد اتجه للعود، لكن الأستاذة نجلاء قالت له:

- دعه فإن أوتاره غير مشدودة.

أفلتت نظرة خاطفة من عينى أيمن، وأخذ العود وجلس بعيداً، وهذا شىء أشعر أبلة نجلاء بالقلق، وطلبت منه أن يترك العود.

قال لها:

- أنا سأصلحه.

- أنت ستفسده.

غضب أيمن، وتوترت أعصابه.

تدخلت أنا، وهمست لنجلاء :

- دعيه، وإذا أفسده سأشترى لك عوداً جديداً بدلاً منه.

صمتت نجلاء على مضض ، وأنا ابتسمت لأيمن ، وقلت له :

- هيا أصلحه يا فنان .

واندمجت نجلاء فى رد تساؤلات باقى التلاميذ، ومحاولة تعليمهم نشيد مدرستى.

وسمعت صوتاً.. رخيماً.. عذباً.. يعلو وهو يغنى أنا أحب مدرستى.

وقعت عيناى على حمدى.. الذى يميل للنوم.. إنه يمتلك صوتاً جميلاً، وهذا بعث بفكرة لدى.. لماذا لا ينشد حمدى نشيد المدرسة.

انتهت حصة الموسيقى، ولم يصلح أيمن أوتار العود، أخذت نجلاء العود منه، عبس أيمن وزمجر، طيبت خاطره، وقلت له، أصلحه فى المرة القادمة.

فى الفصل لم يهتم أيمن بحصة الحساب، وأنا تركته لأنى أعرف أن العود وإصلاحه فى بؤرة شعوره.

٣٢- أيمن والعود

رغبة حارقة فى أعماق أيمن لإصلاح أوتار العود.. دفعته دفعاً

للذهاب إلى حجرة الموسيقى فى وقت الانصراف.

رأى باب الحجرة «مواربا»، وأبلة نجلاء غير موجودة، نظر حوله فلم يجد أحداً، لمحته أبلة وداد ، اختبأت خلف جدار، وهى تراقبه. بعد تردد كثير دخل أيمن إلى حجرة الموسيقى، وأخذ العود.

وداد رأته، وتركته حتى انصرف بالعود.

وهو يركب السيارة، سألته أمه عن العود، قال لها:

- سأصلحه وأعيده لأبلة نجلاء.

- هل هى أعطته لك؟

- نعم.

★ ★ ★ ★

وداد ذهبت إلى المديرة ثناء، وقالت لها:

- عاد.أيمن للسرقة.

- ماذا تقولين؟!

- رأيته يسرق العود من حجرة الموسيقى.

- ولماذا لم تمنعيه؟

- ناديت عليه، ولكنه جرى.

- وأين نجلاء؟

- لا أعرف.

ضغطت ثناء على الجرس، جاء صابر، قالت له:

- نادى الأستاذة نجلاء.

بعد قليل، جاءت نجلاء، سألتها ثناء:

- هل حجرة الموسيقى مغلقة؟

- نعم أغلقتها الآن.

- هل العود موجود؟

نظرات نجلاء طافت بوجهى وداد وثناء، ثم أسرعت إلى حجرة

الموسيقى وعادت ووجهها شاحب، وأعصابها مضطربة.

واجهتها ثناء:

- هل وجدت العود؟

- لا.. من الذى أخذه؟

قالت وداد:

- أيمن سرقه.

نجلاء برد فعل عفوى:

- اللص.

قالت ثناء:

سننتظر للغد، ونرى ماذا سيحدث، وسيكون لى تصرف مع هذا الولد، ومع مها أيضاً.

★ ★ ★ ★

فى صباح اليوم التالى، لم يحضر أيمن الطابور.

ونظرات المديرة مركزة على فصله، وعلى مها، وأيضاً نظرات وداد.

وعندما دقت الطبلة إيذاناً بتحرك الطوابير للفصول.

أسرعت نجلاء إلى مها، وسألتها:

- أين أيمن؟

- أيمن يحضر مع أمه، وقد يكون تأخر قليلاً لماذا تسألين؟

- أيمن أخذ العود من حجرة الموسيقى.

صمتت مها متفكرة، وقالت لنجلاء:

- اهدئى.. إذا كان أخذه فسيصلحه ويحضره.

- وإن لم يحضره؟

- سأعتبره عهدتى أنا، وأنا المسئولة.

★ ★ ★ ★

جاء صابر إلى الأستاذة مها، وطلب منها التوجه لحجرة المديرة.

طالعتها ثناء بوجه عابس، وقالت لها:
- الولد أيمن مازال لصاً، ولم يرتدع، وهذه المرة لن أصمت.
قالت مها: اعتبرى العود عهدتى أنا.
- لابد من عقابه، هذا اللص.
فى هذه اللحظة دخلت نجلاء ووجهها متهللاً، وقالت:
- لقد أصلحه ياسيادة المديرة.
- عن ماذا تتكلمين؟
- أيمن أصلح العود، وأعاده، وكان ينتظرنى أمام حجرة الموسيقى.
- آه، لكن لابد من عقابه.
قالت مها:
- لابد من تبصيره.

★ ★ ★ ★

عماد يحب سماع ما حدث فى يوم مها. قصت عليه حكاية أيمن والعود.

صمت عماد طويلاً، وقال:

- فعلاً يجب تبصير أيمن بأن هذا تصرف خطأ حتى ولو كان مقصده حسناً.

- طلبت من ثناء ألا توجه له أى لوم أو تعنيف على أن أكون أنا مسئولة عن تصرفاته فى المستقبل.

- وهل تضمنين تصرفاته؟

- أنا قطعت معه شوطاً طويلاً، وأفردت أمه حجرة خاصة له وهى تحضر هدايا له، وتعطيه مصروفاً، وأفهمته بأن يسألها عن أى شىء يريده.. وشيئاً فشيئاً سيعود للتصرف السليم.

ومازالت مها تحكي

أخبرت عماد بصوت حمدى الشجى، ورغبتى فى أن أعده لينشد

نشيد مدرستى.

عماد يتفاعل معى دائماً، ويضيف أبعاداً جديدة لفكرتى، ولذلك قال لى:

- فكرى فى أن يشترك تلاميذك كلهم فى نشاط مدرسى، فهذا يقوى ثقتهم فى أنفسهم، ويحفزهم لمزيد من النجاح.

جلست مع عماد فى الشرفة نتبادل الرأى، بعد أن قدمت له الشاى وبعض الفطائر التى أتفنن فى عملها من أجل الأطفال.

قلت له:

- جميعهم يشتركون فى النشيد، طارق وشيرين يشتركان فى العزف، وحمدى ينشد.

سألنى:

- وماذا عن باقى الأطفال؟

- يرددون النشيد خلف حمدى.

- هذا لا يكفى، سيشعر بعضهم بالتميز، أما الآخرون فلا.

وبعد نقاش ودى استقررت على رأى.

المديرة ثناء نظرت إلىَّ، وقد تركت القلم من يدها، وضغطت على أسنانها، ثم حاولت أن تبتسم وسألتنى:

- ماذا وراءك؟

- كل خير إن شاء الله.

- هات ما عندك بدون مقدمات.

- أفكر فى أن تلاميذى يأخذون يوم نشاط كامل فى المدرسة.

- فسرى كلامك.

- بعضهم.. يقوم بدور شرطة المدرسة، فيضبطون النظام فى الفناء والملعب.

- من؟!! تلاميذك المختلفين؟!!

نظرت حولى، فلم أجد أحداً، نظرت إلى المديرة نظرة طويلة فأدركت خطأها، وتراجعت قائلة:

- آسفة.. نحن اتفقنا على أن نعاملهم معاملة عادية، ولا نطلق عليهم مثل هذه الألقاب. لكن أنت مدرسة مستفزة، ودائماً مشتعلة ولا تهدئين.

ابتسمت لها، وقلت:

- كل نشاط ينسب إليك ياحضرة المديرة، وتصورى أن يقوم تلاميذى بهذا النشاط، ويذهب تقرير إلى مديرية التعليم بالتجربة ونجاحها، هذا يرفع أسهمك للسحاب وقد تصبحين مديرة للتعليم.

ضحكت المديرة ثناء، وانفرجت أساريرها، وقالت لى:

- أنت مدرسة ممتازة، وأنا أحبك، وزوجى يحب زوجك الدكتور عماد لكن.. هل أنت متأكدة من أن أطفالك يستطيعون القيام بيوم مدرسى كامل.

- سأقوم بتدريبهم حتى يتقنوا أدوارهم.

- إذا حدث هذا يا مها، سأدعو لك كبار رجال التعليم لمشاهدة هذه التجربة الفريدة.

٣٣ - العصافير تتعلم الطيران

(رواية مها عن تقدم الأطفال)

فى حجرة الموسيقى استقبلتنى الأستاذة نجلاء أنا وأيمن، نظراتها تحدق فى أيمن.

ابتسمت لها، وقلت بلهجة ظافرة:

- أصلح أيمن العود، أليس كذلك ؟

نظراتها اتجهت لأيمن، فاض السرور بأيمن، فوجدته يطرق برأسه وقد غلبه الحياء.

همست له:

- ارفع رأسك، فأنت فنان ماهر.

اختبرت الأستاذة نجلاء أوتار العود، وامتلأت نظراتها بالإعجاب، وسألت أيمن:

- هل أنت متخصص فى إصلاح العود؟

فقال أيمن بطلاقة:

- أنا أصلح أشياء كثيرة.

- مثل؟

- العجلة، والخلاط، والمكواة، والمسجل، .....

- أنت عبقرى، فلماذا . أنت فى فصل.....

صحت منزعجة:

- نجلاء!!

تنبهت نجلاء وقالت بخجل:

- أنت عبقرى.

قلت لها:

- أريدك ياصديقتى أن تدربى تلاميذى على نشيد مدرستى ليقولوه فى الصباح.

- من؟!

- تلاميذى.. عصافير الجنة.

- ماذا بهم؟

- يتدربون على نشيد مدرستى.

- أنا أدربهم، لكنى لا أضمن لك النتيجة.

- أنا سأكون معك.

ابتسمت نجلاء، وكادت تضحك، فهى شخصية تلقائية، ورد فعلها فورى.. بدون أى ضابط.

سألتها:

- ماذا يضحكك؟

- تتكلمين بثقة قائد منتصر.
- ياصديقتى، أنت تعرفين أن العباقرة يصنعون.
- نعم العباقرة.. لا «المختلفون».
- أحب أن أذكرك بأن باستير عالم الكيمياء كان بطيء الفهم وأن إينشتاين كانوا يتهمونه بتشتت الذهن، وأن.....
- كفى.. كفى.. سأقوم بتدريبهم، وأنت المسئولة عن النتيجة.

★ ★ ★ ★

سألت تلاميذى عصافير الجنة: من يريد أن يكون شرطى مدرسة؟ جميعهم رفعوا أصابعهم.

حتى حمدى الذى ينام كثيراً، وله صوت رخيم رفع أصبعه وقال:

- أنا أريد تعليق الشريط الأحمر حول ذراعى.
- وأنا.. وأنا.. وأنا..

أصوات كثيرة متداخلة، وأصابع مرتفعة تشب لإثبات الوجود. هم فرحون فقط بالشريط الأحمر، لكنهم لا يعرفون طبيعة العمل. وقررت أن أوضح الأمر بطريقتى؟ فسألت: ما هو دور الشرطى المدرسى؟

رفع حمدى أصبعه، وقال بدون إذن: القبض على اللصوص.

سمعت تعليقاً عجيباً ، أحدهم قال : القبض على النيام .

بحثت عن القائل، فوجدت محمود يضحك على التعليق الذى قاله، وأنا فى رأيى أنه تعليق يدل على ذكاء، فقررت أن آخذ محمود كشرطى، وقلت له: اخترت محمود، وهو الشرطى رقم واحد، تصاعد الحماس، وتصاعدت الكلمات، (وأنا رقم اثنين ياأبلة)، وأحدهم لكز جاره من فرط حماسه، وقال: أنا يا أبلة، والنبى أنا.

فسألته:

- لماذا تريد أن تكون شرطياً ياعبدالصبور؟
- لأضرب الولد حسين؟

- لماذا تضرب حسين؟

- لأنه يضربنى.

ضحك الأطفال، واخترت عبدالصبور الشرطى رقم اثنين قلت لهم: شرطى المدرسة يحافظ على نظام المدرسة، ويفض المشاجرات، ويحل المشاكل، ويساعد الضعيف.. هل فهمتم؟

جميعهم أجابوا: نعم.

وأنا متأكدة أنهم لم يفهموا شيئاً، ولكنى تظاهرت بتصديقهم.

وبعد مجهود أصبح لدى عدد أربعة رجال شرطة مدرسية.

وقلت للبنات الثلاثة المتواجدات فى الفصل: أذنت لجنة الاستقبال ستلبسن فساتين بيضاء، وأحذية بيضاء، وتيجان من الزهور البيضاء، وأجنحة الملائكة.

موجة من السرور اجتاحت صدور الفتيات الصغيرات، وسالت أعينهن بنظرات حالمة. الخيال صنع لهن عالماً مسحوراً سبحن فيه.

واخترت مجموعة النظافة لتنقية الفناء والملعب من أى أوراق أو مخلفات.

راجعت مع تلاميذى دور كل منهم، وحددت الشرطة المدرسية، ومجموعة النظافة، ومجموعة الاستقبال، والجميع سيشتركون فى نشيد المدرسة خلف حمدى صاحب الصوت الشجى.

رفع أحدهم أصبعه وسأل: من سيقول كلمة الصباح؟

وهنا شعرت بالحرج بعض الشىء، فأنا أحتاج لمواصفات مثل طلاقة اللسان، وجرأة الشخصية، وهى صفات غير متوفرة وتذكرت أنه فى العلاج السلوكى يجعلون الشخص الخجول يمثل دور الشخص الجرىء، والشخص الضعيف يمثل دور الشخص القوى والسارق يمثل دور الأمين.. حتى يكتسبوا صفات إيجابية فقررت أن أجعل أيمن.. هو المسئول عن كلمة الصباح.

ما أن سمع أيمن بقرارى.. حتى انطفأ وجهه، وقال بصوت ضعيف: يا أبلة.. يا أبلة.

هو يريد أن يعترض، ولكن الخجل اعتقل كلماته.

قيود الإحباط تمنع انطلاقه.

قلت له مبتسمة: أنا أعرف أنك سعيد بهذه المهمة، وأنت تستطيع القيام بها، وأنا سأكون معك لحظة بلحظة.

الجميع ينظرون إلىَّ، قرأت عتاباً فى نظراتهم، فاستطردت فى الكلام: سأكون معكم جميعاً، وسنتدرب على مهامنا وسننجح بإذن الله، وسيعرف الجميع قدركم، وسيصفقون لكم.

وبدأ التدريب على نشيد مدرستى.

أبلة نجلاء طلبت من حمدى أن يسمع النشيد.

وثارت نجلاء عندما أخطأ حمدى، وتلعثم كثيراً، ونسى أحد المقاطع.

التزمت أنا بالهدوء على أن أتفاهم مع نجلاء على طريقة التعامل مع تلاميذى، أو يكون اقتناعاً منى بخطئى. لأنى لم أتأكد من حفظ حمدى للنشيد.

وسألت نجلاء: من يحفظ النشيد؟

جميعهم رفعوا أصابعهم كعادتهم، هم لا يدركون العواقب ولا يعرفون ما يتقنون وما لا يتقنون، والمفروض أن دورى هو الأخذ بأيديهم لمعرفة أنفسهم أولاً، ثم تنمية شخصياتهم ومعرفتهم ثانياً.

هممت بأن آخذ التلاميذ وأنسحب، لكن المديرة ثناء فاجأتنا بالمجىء.

أشارت نجلاء لبعض التلاميذ، وقالت: هيا سمعوا النشيد وبأصوات مرتبكة ومتنافرة.. قال التلاميذ النشيد خطأ.

تجهمت المديرة، ورمقتنى بنظرة ساخرة، وهزت كتفيها وغادرت

المكان بدون أن تنطق كلمة.

خفت أن تأخذ قراراً متشدداً ولا يمكن الرجوع فيه، فأسرعت خلفها، وكأنها سمعت خطواتى؟ فتعمدت هى أيضاً الإسراع.

دخلت مكتبها، دخلت وراءها.

قالت لى ساخرة:

- ماذا تريدين؟

- فرصة.

- أية فرصة؟

- للأولاد.

- الفرصة لمن يستحقها ياأستاذة.

- ياسيادة المديرة....

قاطعتنى ساخرة:

- سنبدأ الخطب والدفاع.

- أنت تعلمين ياسيادة المديرة أى نوع من التلاميذ هم.

- ولذلك لن أعطيك فرصة.

ثم التفتت إلىَّ، وخلعت نظارتها، وقالت:

- إذا بليتم فاستتروا ياأستاذة.

- أنا أجتهد، وأنت تساعدينى، وأنت صاحبة القرار فى إنشاء هذا الفصل بالرغم من اعتراض الآخرين.

كلامى هذا غير حقيقى، ولكننى أستفز كل مشاعر الخير والتحدى فى نفسيتها، ولذلك استمررت فى حديثى:

- وأنت تعرفين أن العباقرة يصنعون.

ابتسمت ساخرة عند سماعها كلمة العباقرة، والواضح أن الكلمة مسيطرة على تفكيرى.

تجاوزت عن ابتسامتها، وقلت لها:

- هذه كلماتك التى لا أستطيع نسيانها.

قالت بدهشة:

- كلماتى أنا؟!

- نعم، أنت قلت إن التدريب والمثابرة يصنعون العباقرة، وضربت مثلاً بمسيرتك فى التعليم.

نظرت ثناء إلىَّ كثيراً، وكأنها تقول لى (لا أصدقك)، لكنها لم تستطع الإنكار، وتنهدت، وسألتنى:

- ماذا تريدين؟

- الوقت للتدريب والمثابرة، والإتقان.

- ولماذا تتعبين نفسك؟

- ولماذا تتعبين أنت، وتمرين على كل الفصول وتتابعين كل نشاط، أنت قدوة لنا.

نظرت إلىَّ مرة أخرى، ولسان حالها يقول لى (منافقة).

ابتسمت ثناء، وهذا شىء نادر، ولعلها ابتسمت للوصف الذى وصفتنى به فى قرارة نفسها، فأسرعت بالقول:

- يكفينى شهر تدريب ياحضرة المديرة.

قالت:

- أسبوعان فقط.

قلت لها:

- ثلاثة أسابيع.

- موافقة، وإذا لم ترضنى النتيجة..

أسرعت بالقول:

- لن أطلب منك شيئاً آخر.

٣٤- العصافير تطير

بالرغم من أن الأستاذة نجلاء اتفقت معى على تدريب تلاميذى ولا تلتزم بالنتيجة، فإنها كانت مذعورة، وقالت لى: لا فائدة.. أنت تنفخين فى قربة مقطوعة.

رغبت أن أنتشلها من البركة الآسنة الغارقة فيها ، فقلت بلهجة راسخة «العظمة كل العظمة أن تنتزعى النصر من قلب الهزيمة».

نظرت نجلاء حولها متعجبة لكلامى، وقالت:

- نصر، وهزيمة أى نصر؟! ونحن ندرب تلاميذ.. من سقط المتاع؟!

- هذا هو النصر بعينه أن تصنعى شيئاً لم يفعله غيرك.

واتضح لى أن كلامى ينزلق على وعيها ولا يترك أثراً.

فقلت لها:

- سأتركك تدربين حمدى والبنات، وأنا سأدرب باقى الأولاد.

ارتاحت نجلاء لاقتراحى، فالفريق الذى ستقوم بتدريبه أكثر هدوءاً، بل ومطرب الفرقة هادىء لدرجة النوم.

أما أنا فأخذت باقى التلاميذ، وحرصت على أن يحفظوا النشيد أولاً، فأخذنا ننشده جماعة، ونكرره كثيراً، وأنا متجاوزة عن نشاز أصواتهم، وعدم توحد الصوت والكلمات.

أما الأستاذة ثناء فكانت تأتى قريباً من النافذة تستمع وتضع أصبعيها فى أذنيها، وتعبس، وتهتف بكلمة واحدة «لا فائدة».

وقد قالت لى هذا بنفسها.

وكعادتى ناقشت مشاكلى مع عماد، استمع إلىَّ بإهتمام وحماس وقال لى:

- بعد انتهائى من الدكتوراة فى طب المخ والأعصاب سأدرس دكتوراة فى الطب النفسى، مسترشداً ومشاركاً فى تجربتك العظيمة.

- تجربتى العظيمة؟!

- نعم فالأشياء تأخذ قيمتها من الأشخاص والأهداف.

عماد يضيء أفقى بالأمل، ويصقل حياتى بالفكر، ويثرى وجدانى بالمشاعر الدافئة.

أخذت برأى عماد، وكنت أدرب أيمن، ونحن نسير بين المزروعات المتطرفة فى أرض القصر، حرصت على أن أحكى له عن خطبة معاوية الثانى، وهو ابن يزيد، وكان شاباً متديناً عن حق، ويعرف أن جوهر الدين هو العدالة، وأن آل معاوية قد انتزعوا الحكم بالغدر والسيف والحيلة ولم ينشروا العدل فى الأقطار.

كان معاوية الثانى خجولاً.. ولكن عندما دُعى لإلقاء خطبة العرش، وكان ممتلئاً بفكرته، خرج على الناس، وصمت قليلاً، حتى قال أحدهم: لقد غلبه حياؤه. لكن الفكرة كانت مبلورة فى رأسه، ولذلك قال: أيها الناس.. لقد نازعنا الأمر أهله، ونحن غير أهل له ولذلك فإنى أترك الأمر لأهله.

فوجىء معاوية الخجول بأن صوته كان قوياً.. واضحاً.. مؤثراً. فالمهم أن تعرف ماذا ستقول، وتمتلىء به.

كنت أحكى هذا لأيمن لأحصن ذاته المزعزعة ضد المجهول ولأجعل قلبه ينبض فى جو من الأمن لا جو من الخواء.

كنت أريد أن أطلق روحه من إسارها، وحكيت له عن الخليفة الثانى أبى بكر الصديق، وكان مشهوراً بالسماحة والدعة واللين وكيف انقلب لأسد هصور عندما حاول نفر من المسلمين إبطال ركن الزكاة.

الإيمان فى قلبه حوله لأسد.

بمثل هذه الحكايات كنت أحاول زرع الثقة والاطمئنان فى نفسية أيمن، ثم طلبت منه أن يفكر فى الكلمة التى سيلقيها.

وفى اليوم التالى، قال لى بضعف: لم أعرف شيئاً.

لم أنزعج، وقلت له: أنت تعرف، ولكنك خجول، وهذا شىء طبيعى.

وأنا أسير معه، قلت له: اعتبرها لعبة، تلعبها مع طارق وشيرين، وفى الحديقة مثل معهما، هما طابور المدرسة، وأنت تلقى الكلمة أمام الطابور، وستنجح، وعندها أخبرنى.

★ ★ ★ ★

ظهر محمود وعبدالصبور وعباس وحسن فى فناء المدرسة وكل منهم يضع شريطاً أحمر حول ذراعه، مكتوب عليه «شرطة مدرسية»، الأولاد سعداء بالدور، يبتسمون ابتسامة ساذجة وهم يتحركون فى الفناء.

كنت أقف خلف شجرة أراقب تلاميذى، وأنا أشعر بنذر عاصفة تتأهب فى الأفق.

وجف قلبى، وشعرت بتقلصه عندما رأيت الولدين فتحى وسليم يقتربان من مجموعة الشرطة، وبعد قليل سقط رجال الشرطة المدرسية الأربعة على الأرض، وجرى سليم وفتحى وهما يضحكان . خرجت من مخبئى، وهممت بالنداء على سليم وفتحى، لكن صوت بكاء فريق الشرطة جذبنى إليهم، ما أن رأونى حتى أسرعوا إلىّ، وتعالى بكاؤهم، وكأنهم ينعون إلىّ فشل التجربة.

تمالكت نفسى، وقلت لهم ضاحكة: يا لكم من أبطال!! لقد أخفتم الولدين سليم وفتحى.

صمت الأولاد، وهم يحملقون فى، وقال محمود: لا يا أبلة أنتِ غير فاهمة.

وأكمل عبدالصبور بصوت باك: هم ضربونا.

قلت: نعم هم هربوا منكم.. لأنكم أقوياء.

قال عباس:

- لا يا أبلة.. هم أقوياء، وأنا لا أريد أن أكون شرطياً.

- لماذا؟

- الولد سليم شرير.

قال حسن :

- وكذلك الولد فتحى.

- نعم هم سيئون، وأنتم أقوياء، ولذلك اخترتكم لتكونوا رجال شرطة تحفظون النظام.

كنت أريد أن أوقف انحدارهم، وأحصن ذاتهم المضطربة.

لكن يجب أن يحققوا نجاحاً ولو صغيراً ليستمروا.

بحثت عن الولد سليم والولد فتحى حتى وجدتهما يشتريان ساندويتشات من الكانتين، دفعت ثمن الساندويتشات لهما، ووقفت معهما بعيداً عن باقي التلاميذ.

قال فتحى مهاجماً: نحن لم نفعل شيئاً.

ولحقه سليم بالقول: هم أمسكونا بدون ذنب.

قلت لهما «وأنا أعرف كذبهما»: أنا أصدق ما تقولان، فأنتما مشهوران بالصدق، كما أنكما تحبان فعل الخير، وتساعدان الضعيف.

اتسعت عينا فتحى، وتقطعت أنفاسه.

وجرى سليم مبتعداً، وهو يقول: نعم أنا ضربتهم، وسأضربهم مرة أخرى، إنهم بلهاء ولا يصلحون لشئ.

أدركت أن سليم قال هذه الكلمات، وكأنه يبعد الجمر الحارق عن نفسه، ويبرر خسته التى ظهرت فى مهاجمة الضعيف.

فى اليوم التالى جمعت فريق الشرطة المدرسية، وأضفت إليهم اثنين آخرين، وقلت لهم: أنتم فريق قوى، ومجموعة كبيرة أريدكم أن تتحركوا معاً، وإذا وجدتم تلميذاً مخالفاً حدثوه بأدب وإذا لم يمتثل لكم اكتبوا اسمه، وأعرضوه على.

سأل عباس: وإن ضربنا ماذا نفعل؟

شعور الضعف والجبن مسيطر عليهم، كان يجب أن أعطيهم إحساساً بالقوة، قلت لهم: أنا سأكون قريبة منكم، ولن يتجرأ أحد

لاعتراضكم، ثم أنتم ستة أفراد عاونوا بعض واضربوا من يبدأ بضربكم.

أراد حسن أن يتأكد فسألنى: هل ستكونين قريبة منا؟

قلت بتأكيد: نعم سأكون قريبة منكم.

وقد أفلحت كلماتى، ووجدت فريق الشرطة يسيرون معاً.

وما لبث سليم وفتحى أن تعرضا لفريق الشرطة.

اضطربت قليلاً، وأنا أتابع ما يحدث، وأتساءل عما دعا الولدين سليم وفتحى للتعرض للفريق مرة أخرى، كنت أظن حديثى السابق معهما قد أقنعهما.

بعد قليل رأيت فريق الشرطة المتكون من ستة أفراد يدفعون الولدين، ويسقطونهما أرضاً، ثم يقفون ينظرون إليهما بدون حركة وقام الولدان، وأخذا يتلفظان بألفاظ سيئة، ثم ابتعدا عندما رآنى الجميع قادمة إليهم. جرى فريق الشرطة نحوى، ومن خلال انفعالهم القوى، قصوا علىّ ما حدث.

وجدت نفسى أقول لهم «علينا أن نخاطب الشر بلغته».

نظر إلىّ الأولاد نظرات مستفهمة، قلت لهم: أحسنتم فأنتم أقوياء وتستطيعون فرض النظام فى المدرسة.

ساروا فى الفناء، وقد استقامت خطواتهم، وازدادوا ثقة فى أنفسهم.

لكن ما أبهجنى كثيراً فريق النظافة، وهو يجمع المخلفات والأوراق ويضعها فى الأماكن المخصصة.

وهناك شئ آخر أبهجنى، فقد كنت فى طريقى إلى حجرة الموسيقى «لمعرفة مدى تقدم حمدى والبنات فى إتقان نشيد مدرستى» رأيت المديرة ثناء تقف عند نافذة الحجرة تستمع بدون أن تضع أصبعيها فى أذنيها.

ابتعدت حتى لا تراني، وعدت لتلاميذى لنغنى معاً نشيد «مدرستى»، وفاجأتنى المديرة ثناء بالحضور، وسألتنى: هل حفظ الأولاد النشيد؟ بكل ثقة أجبت:

- نعم حفظوا النشيد.

- أريد أن أسمع.

سرت فى روح «المايسترو»، ووقفت أمام الفصل، وطلبت من الأولاد أن يقفوا معتدلين، وقلت لهم: ابدأوا عندما ترون الإشارة. وأشرت لهم بيدى، وارتفعت أصواتهم، التفت للمديرة فوجدتها تضع أصبعيها فى أذنيها، وغادرت الفصل بدون كلمة. وشعرت أنى أسقط من فوق قمة جبل.

★ ★ ★ ★

فى جلسة العصارى، فى الشرفة، وكان هناك شعاع ذهبى يداعب سحابة بيضاء.

سألنى عماد: لماذا أراك مكتئبة؟

قصصت عليه ما حدث من المديرة ثناء.

قال لى: تذكرى دائماً أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وتذكرى فريقك فى البداية، وفريقك الآن.

قلت له: فى البداية لم يكونوا يحفظون النشيد والآن يحفظونه.

ابتسم عماد، وقال: هذا شئ..

قلت: والشئ الآخر، هم لم يكونوا يحسنون نطق الكلمات، والآن يحسنون.

روح التفاؤل عند عماد انتقلت لى، ومسحت من صدرى كل عواصف الكدر.

تنبه عماد لشئ، وسألنى:

- أين طارق وشيرين؟

- يلعبان مع أيمن.

- أين؟، إنى لا أسمع لهم صوتاً.

ثم وقف عماد متأهباً للانصراف لأنه ذاهب لأسيوط لمتابعة رسالة الدكتوراة الخاصة به. وتحركت أنا باحثة عن أيمن وشيرين وطارق.

رأيت دراجة أيمن بالقرب من سور الحديقة، فمشيت بحذر لأفاجئهم.

وأسعدنى رؤية أيمن، وهو واقف فى مواجهة طارق وشيرين، ويقول بصوت خطابى ممتلئ بالحماس إخوانى التلاميذ. نحن الآن فى عصر جديد.

حاذرت أن يصدر منى صوت أو حركة، وانتظرت حتى انتهى أيمن من خطابه.

ولدهشتى رأيت طارق يصر على أن يلقى كلمة، ثم أخذت شيرين دورها.

هممت بالابتعاد لكنى رأيت أن أؤكد لأيمن قدراته فى إلقاء كلمة الصباح. فأظهرت نفسى، وأنا أصفق لهم، جرت شيرين إلى وهى ضاحكة وتصيح «ماما مها.. جت» وتبعها طارق وأيمن.

جلست معهم فى الحديقة، وقلت لهم: سمعتكم جميعاً، وأنتم رائعون وأريد أن أسمعكم مرة أخرى.

صمت الأولاد.

قال أيمن، وكأنه يريد الهروب من الموقف:

- إحكى لنا حكاية.

- سأحكى لكم بشرط أن أسمع كلماتكم أولاً.

قالت شيرين: سأبدأ أنا.

وفعلاً وقفت شيرين، وقالت، ثم وقف طارق وقال ، ولم يجد أيمن مفراً من الوقوف والقول.

ولاحظت أن كلماته تحتاج إلى تقويم بالرغم من طلاقة صوته وما أن انتهى حتى سمعنا صوت تصفيق وتهليل، وكانت السيدة ماجدة التى جرت إلى ابنها واحتضنته وقبلته.

ثم اتجهت لى وقبلتنى قائلة: أشكرك يا أختى يا حبيبتى.

كلماتها ذكرتنى بموقف المديرة، فقررت أن أستمر فى تعليم العصافير الطيران.

★ ★ ★ ★

فى حجرة الموسيقى تناقشت مع نجلاء فى أمر الفرقة. وكان من رأى نجلاء أن نكتفى بالمطرب حمدى والفتيات الثلاثة.

وأنا أصررت أن يشترك الجميع، قالت نجلاء:

– أمامك أسبوع واحد، والأولاد لايكونون هارمونى.

– بالتدريب المتواصل سنصل إلى شكل جيد.

نجلاء نظرت إلىّ بطريقتها الطفولية وضحكت.

سألتها:

– لماذا تضحكين؟

– طريقتك فى الكلام.

– ما بها؟

– أنت تتعاملين مع المسائل كأنها حياة أو موت، ولا شئ يستحق هذا العناء.

غضبت، وقلت لها:

– الأمر يستحق ويستحق، اسألى نفسك، ماذا يحدث لو كان لك طفل منهم؟

– وهل النشيد هو الذى سيصلح حاله؟

– تحقيق نجاحات متواصلة هو الذى سيصلح حاله .

– لا أحد يستطيع أن يجادلك، ماذا تريدين؟

واقترحت على نجلاء أن يخفض الأولاد الذين دربتهم طبقة الصوت، ووافقت نجلاء على أن تقوم بتدريب الأولاد منفردين، وكانت النتيجة غير مرضية لأن الأولاد لم يستطيعوا التحكم فى طبقة الصوت.

فى أثناء التدريب، بعد أسبوعين، فاجأتنا المديرة ثناء بالحضور، وانفجرت بعصبية عند سماعها صوت الأولاد المتنافر. وقالت:

- لا.. لن أعرض نفسى للسخرية أبداً سألغى العرض كله.

٣٥ - يوم مشهود

أطلت نظرات اليأس من عينى نجلاء، وقالت بإستسلام:

- جاءت من عند ربنا.

لكن اليأس لا يعرف طريقاً لروح مها الوثابة، وهى تشعر أنها صاحبة رسالة، لذلك نظرت إلى نجلاء بقوة، وقالت لها:

- يجب أن أحقق طموح تلاميذى.

- وكلام المديرة؟!

- سأجد طريقة، وعلينا أن نستمر فى التمرين.

ولجأت مها إلى زوجها عماد، فهى دائماً تشعر بأنه مصباح حياتها المضىء بالأمل والسعادة.

وجلسة العصارى فى الشرفة طقس حياتى.. حرصت مها على استمراره.

أحضرت الشاى والفطائر، وسألت زوجها عما تم بالنسبة لشهادة الدكتوراة.

طمأنها عماد بأن تحديد ميعاد المناقشة سيتم فى الأسبوع القادم بعد يوم تلاميذها المشهود.

صمتت مها، ولاحظ عماد اختفاء لمعان الفرح من عينيها.

فسألها:

- ماذا حدث؟

- المديرة ثناء ألغت العرض.

- لا تقفزى للنتائج، أخبرينى بما حدث لنناقشه بهدوء.

قصت مها ما حدث.

قال عماد لها:

- فى الحياة قد نتنازل عن بعض الأهداف الصغيرة لنحقق الأهداف الكبيرة.

- ماذا تعنى؟

- لا يشترك الأولاد فى النشيد المدرسى، واكتفى بحمدى والبنات.

- هذا يحبطهم.

- لماذا؟ وهم مشتركون فى الشرطة المدرسية وفرقة النظافة.

- هل هذا كاف.

- هذا أفضل حل.

- وكيف أقنع المديرة ثناء؟

- أنت ذكية، ولديك هدف سام، وستجدين طريقة.

★ ★ ★ ★

فى الصباح، المديرة ثناء جالسة فى مكتبها وهى متوترة ، هى تشعر بالتوتر منذ أن اتخذت القرار بإلغاء عرض تلاميذ عصافير الجنة، وهى تدرك أن التوتر نتيجة لعدم رضائها عن قرارها، لكن ماذا تفعل؟! وصوت الأولاد مثل صوت الرعد. هزت رأسها لتنفض ظلال هذه الأفكار السوداء من رأسها، وأخذت تحملق غير مصدقة.

فهى ترى أمامها ثلاث بنات يلبسن ملابس بيضاء وأحذية بيضاء، ويضعن تيجاناً من الفل، وتحمل إحداهن باقة من الزهور.. إنهن يشبهن الملائكة.

تقدمت حاملة الزهور، ومدت يدها بالباقة.

مشاعر من الصفاء والسكينة سرت فى روحها.

ابتسمت وقالت:

- متشكرة.. من صاحبة هذه اللفتة؟

دخلت مها مبتسمة، وقالت:

- هذا.. فريق الاستقبال الذى اقترحته ياسيادة المديرة.

- أى استقبال؟!

- استقبال ضيوفك الذين سيأتون ليروا إنجازك بالنسبة لعصافير الجنة.

- هل مازلت..

- سيكون يوماً مشهوداً بفضل توجيهاتك.

- لكن فريق الأولاد...

- سنكتفى بحمدى والبنات حسب توجيهاتك.

صمتت المديرة ثناء قليلاً، وهى لا تدرى ماذا تفعل مع هذه المدرسة المثابرة.

ثم قالت، وهى تحاول الاحتفاظ بسمت صاحبة القرار الأخير:

- اسمعى يامها ..

- أوامرك ياسيادة المديرة.

- لن يتم شئ قبل أن أطمئن على إتقان تلاميذك بنفسى.

★ ★ ★ ★

وقفت المديرة ثناء خلف نافذة حجرة تطل على فناء المدرسة، وتابعت بنظرات ثاقبة أفراد الشرطة المدرسية، رأت ستة تلاميذ يسيرون معاً، ويتجهون لكل تجمع، ويقفون صامتين، ثم ينصرفون إلى اتجاه آخر، ولا يملون الحركة مع حرصهم الكامل على أن يكونوا معاً.

همست لنفسها (لابد أن هذه توجيهات مها).

أخذت ثناء نفساً عميقاً، واتجهت بخطوات سريعة إلى حجرة الموسيقى، ووقفت خارج الحجرة قليلاً، وما لبثت أن خرجت مها، ودعتها للدخول.

حمدى فى المقدمة، والبنات الثلاثة خلفه بملابسهن البيضاء ونجلاء تقوم بدور المايسترو. ومها تقف فى آخر الحجرة تراقب الموقف.

أشارت نجلاء لحمدى أن يبدأ.

الولد صوته عذب صاف معبر. والبنات يرددن خلفه بصوت مقبول.

نظرت ثناء حولها، فلم تجد الأولاد.

انتهى حمدى من النشيد.

ابتسمت ثناء، وقالت: لا بأس بشرط ألا ينضم الأولاد لهم. ثم نظرت للبنات وقالت: اخلعن هذه الملابس، واحتفظن بها نظيفة ليوم الاستقبال.. يوم الخميس.

مها غلبتها الدموع، وهى تردد : شكراً ياحضرة المديرة واتجهت إليها وغمرتها بالقبلات.

اهتزت المديرة ثناء، وحاولت التماسك، وسألت مها:

- من الذى سيلقى كلمة الصباح؟

- أيمن؟

- من؟!

- أيمن.

- وهل دربته على ذلك؟

- نعم.

- أنت المسئولة أمامى، لا أريد أى خطأ أو مفاجآت.

تساؤل المديرة ثناء عمن سيلقى كلمة الصباح، أشعل روح التحدى عند مها، واتشح جبينها بجمر الحماس.

وفى القاعة التى يلعب فيها أيمن وطارق وشيرين ، جلست مها

معهم، وقد خبأت مسجلاً صغيراً فى جيبها وقالت لأيمن:

- هيا نلعب اللعبة من البداية.

- أية لعبة؟

- أنت تلقى كلمة الصباح، ونحن طابور المدرسة.

صاحت شيرين:

- وأنا؟

- ثم أنت.

وأسرعت بالقول:

- ثم طارق.

وقف أيمن، وأخذ يلقى كلمته بوضوح، وضاع منه التردد لأنه يعتبرها لعبة، وقد لعبها كثيراً من قبل.

ضغطت مها على زر التسجيل، ثم دعت شيرين لإلقاء كلماتها ووقفت تقلد أيمن، وهى تضحك، ثم أخذ طارق دوره، وقد سجلت مها للجميع، ثم أسمعت أيمن كلمته، أيمن غير معجب بما يسمع، بعد انتهاء التسجيل، تبرع بالقول:

- سيئة.

- لماذا؟

- لأنى لم أفهم شيئاً.

قالت مها: تعال نكتب الكلمة أولاً.

وكتبت الكلمة، ثم قالت له:

- تعال نراجعها معاً، ونستبعد الكلمات غير المفهومة.

وبدأت مها فى استبدال الكلمات الغامضة بكلمات واضحة وبسيطة وأزالت جملاً كثيرة لتكون الكلمة أكثر تركيزاً، ومبلورة حول الموضوع الذى اختاره أيمن، وهو الأمل.

وقالت له: اقرأ الموضوع بعد تعديله من الورقة.

وسجلت له ما قرأه، وأسمعته التسجيل.

انفرجت أساريره، طلبت منه أن يلقى مقطعاً.. مقطعاً حتى يحفظه ثم تسجل له الكلمة كلها.

ولكى ترضى شيرين وطارق، سجلت لشيرين عزفها بالطبلة، وسجلت لطارق عزفه بالكمان.

وقالت لهما: هيا نسمع بابا عماد.

وفى جو احتفالى ممتلىء بالبهجة.. استمع عماد تلبية، ونظراته تسيل حباً لها.

★ ★ ★ ★

خرج حمدى والبنات من فصل عصافير الجّنة تلبية لطلب الأستاذة نجلاء مدرسة الموسيقى.

الأولاد ينظرون للأستاذة مها نظرات أوجعت قلبها. واندفع أحدهم متسائلاً: ونحن متى سنتدرب؟

قالت مها: ستتدربون الآن معى.

سأل آخر: وهل سنقول النشيد؟

أجابت مها، وهى تحت تأثير رغبة شديدة فى أن يأخذ هؤلاء الأولاد فرصتهم: نعم.. ستقولون النشيد.

ضحك الأولاد، وصاحوا معبرين عن سرورهم: هييه!!!

طلبت مها من الأولاد أن يقولوا النشيد كلمة.. كلمة.. وببطء.

ولاحظت أن الأصوات قد استقامت ووضحت.

فبدأت فى تجربة أخرى قالت لهم: أنا أقول النشيد، وأنتم ترددون آخر كلمة ببطء وبهدوء.

وكانت النتيجة مرضية، صاحت مها بسرور.. سأذهب لإحضار الأستاذة نجلاء، وأرجوكم أن تلتزموا بالهدوء.

جاءت نجلاء تحت إلحاح مها، وقالت مها لها: اسمعى.. وبعد ذلك نتفاهم.

وقالت مها المقطع الأول من النشيد، وردد الأولاد الكلمة الأخيرة ببطء وهدوء، ثم كررت مها مقاطع النشيد والأولاد يرددون الكلمة الأخيرة.. حتى انتهى النشيد.

فى حجرة الموسيقى سألت نجلاء صديقتها مها:

- ماذا تريدين؟

- قولى أولاً، هل أعجبك الأولاد؟

- لا بأس بهم، لكن ماذا تريدين؟

- أريد ضم الأولاد للنشيد.

- أنت تبحثين عن المتاعب، هل نسيت كلام المديرة؟

- أنا أبحث عن صالح عصافير الجنة.

- أنت لن تهدئى حتى تخسرى كل شىء.

- لا.. أنا أريد أن أكسب عصافير الجنة.

- والمديرة؟!

- كل ما يهم المديرة أن يكون النشيد ممتازاً، وألا ينشز الأولاد.

- كيف؟

- الأولاد يرددون الكلمة الأخيرة بعد أن يردد البنات المقطع بعد حمدى.

- هذا تلحين جديد للنشيد.

- وهذا دورك وأنت أستاذة لامعة.

- أنت تلقينا للتهلكة.

- أرجوك أن تجربى، وإذا لم تنجح التجربة عدنا للشكل المألوف للنشيد.

- سأجرب من أجلك ياعنيدة.

★ ★ ★ ★

طلب أيمن من أمه السيدة ماجدة الحضور غداً الخميس لسماعه

وهو يلقى كلمة الصباح، وياحبذا لو أحضرت والده كمال.

قالت ماجدة:

- إنه يوم دراسى عادى، وليس احتفالاً.

- لا.. هو يوم غير عادى، وأبلة مها قالت بإمكانية حضور أولياء أمور عصافير الجنة.

قالت ماجدة وهى غير مقتنعة: سأرى.

وكانت مها قد اتصلت بأولياء أمور تلاميذها ليحضروا طابور الصباح، ويروا أطفالهم، وهم يحققون النجاح.

وقد استأذنت مها من المديرة ثناء لتدعو أولياء الأمور لحضور طابور الصباح.

لكن ثناء لم توافق إلا بعد أن دافعت مها عن فكرتها، وقالت لها: هذا تدعيم قوى للتلاميذ، والأهم أنه إعلان عن جهود المديرة، وإظهار دورها فى تطوير التعليم.

فوافقت المديرة؟ وهى غير مقتنعة فى داخلها.

★ ★ ★ ★

يوم الخميس.. اليوم المشهود.. استيقظت مها مبكرة كعادتها..

لكنها اليوم تشعر بمشاعر مختلفة.. مشاعر ملونة بالتحدى والتفاؤل. حواسها يقظة متفتحة، فأصبحت ترى الأشياء وكأنها تراها للمرة الأولى، أيقظت طارق وشيرين، الاثنان يقطران فرحة، ولا يكفان عن الكلام والحركة كأنهما عصفوران يضربان الفضاء بأجنحتهما الصغيرة ويزقزقان فرحة بالحياة المسحورة.

أشرفت مها على لبس طارق وشيرين، ولكنها خصت شيرين باهتمام أكبر لتحولها لملاك صغير بملابس بيضاء وجناح أبيض، وتاج من الفل على رأسها.

وجاء أيمن، وشارك الطفلين فى ضجيجهما المرح.

سألته مها: هل بابا وماما قادمان؟

نكس أيمن رأسه مخذولاً وقال: هما لا يريان ضرورة لذلك.

قالت له: تعال معى.

والتفتت إلى الدكتور عماد، وطلبت منه الاستعداد، وإحضار السيارة، وانطلقت مع أيمن إلى بيته.

ماجدة قابلتها بنظرات متكسرة، وقالت لها بصوت مخذول

- والده.. لا يرى ضرورة لذلك.

سألتها مها بتحد كأنها تدينها:

- وأنت؟!

قالت ماجدة:

- ما ضرورة ذهابى وهو يوم عادى؟!

- لا ليس يوماً عادياً، فابنك سيلقى كلمة الصباح لأول مرة، ووجودك تدعيم له، أيمن يحتاج لنجاحات كثيرة مشهودة من الآخرين ليستيقظ عقله من خموله.

قالت ماجدة محاولة الهروب:

- أنا لا أفهم عليك.

- كل المطلوب منك أن تأتى لرؤية ابنك وهو ينجح أمام الجميع.

- سأحضر، وسألبس فوراً.

وهى تلبس فى حجرتها فاجأها زوجها كمال متسائلاً:

- إلى أين؟

- أوصل أيمن للمدرسة.

- هو يذهب مع عمه.

- أنا سأذهب معه هذه المرة.

سألها بغيظ:

- لماذا؟!

- تدعيم لابنى الوحيد وهو يلقى كلمة الصباح.

قالت الكلمات بقوة، ونظرت له بحدة، وقالت له:

- ومن المفروض أن تأتى أنت.

قال بغيظ:

- مهـا هذه أصبـحت تدير بيـتى، أنا لن أذهب، وأنت أيضـاً لن تذهبى.

★ ★ ★ ★

منذ أسبوع كانت ثناء قد اتصلت بالإدارة التعليمية فى أسيوط وطلبت منهم إرسال بعض المسئولين للمشاركة ومعاينة عصافير الجنة وهم يقومون بأنشطة متميزة. ولم تكتف بذلك، بل أرسلت رسالة رسمية بهذا المعنى.

قلبها كان مضطرباً، وأمواج القلق تصك جدرانه، وتتمنى فى قرارة نفسها ألا يأتى أحد. فهى لا تقبل أى فشل، وهذا يمنعها من المجازفة، وجاءت هذه المدرسة العنيدة مها، وكأنها عاصفة تهدد بنيانها المستقر . ولا تدرى كيف أطاعتها !! ، هناك بصيص من الأمل أن تنجح تجربتها، وعندئذ كما تقول مها ستصعد أسهمها للسماء.

همست ثناء لنفسها: يارب استر!!

وهى متواجدة فى مكتبها منذ الصباح الباكر، كانت أول من وصل للمدرسة فى هذا اليوم.

★ ★ ★ ★

جاء موجه العربى اسماعيل عيد، وموجه التاريخ محمد مرسى والمسئول عن تقييم وتطوير المناهج فكرى عبدالحافظ.

وكان السبب فى مجيئهم أنهم ينتمون لمركز ديروط والقرى المحيطة به. ومجيئهم فرصة لزيارة أهاليهم، والترويح عن أنفسهم.

وسأل الأستاذ فكرى عبدالحافظ صديقيه: ماذا يمكن أن تقدم ثناء

من جديد؟ وهى تقترب من سن المعاش؟

قال محمد مرسى بإستهانة: لعلها تطمع فى مد سن المعاش.

وقال اسماعيل عيد: لا.. لا.. الأمر غير متعلق بثناء، هناك مدرسة اسمها مها جاءت المنطقة مع زوجها، وأقنعت الأستاذ مجدى متولى مدير المنطقة بالموافقة على إنشاء فصل للمختلفين عقلياً، وأنا رأيتها.

- ما أخبارها؟

ضحك اسماعيل وقال:

- هى ليست جميلة ولكنها جذابة جاذبية غريبة.

- نحن لا نسألك عن ذلك.

- أه.. هى تمتلك رؤية فى التعليم، وحماس منقطع النظير.

فكرى: أى أنها إنسانة خطرة.. دعونا نرى.

★ ★ ★ ★

كان الثلاثة يرتدون حللاً كاملة، وكل منهم يضع رباط عنق. وحللهم لها لون داكن والقمصان جميعاً بيضاء والأحذية جلدية سوداء كأنهم يلبسون (يونيفورم) خاص بالموجهين. واكتست وجوههم بمسحة من الوقار، وفتح صابر الباب ورفع يده بالسلام، وقال بصوت جهورى: أهلاً يابكوات.

دخل الثلاثة بخطوات بطيئة، فوجئوا بثلاثة من الفتيات الصغيرات تشبهن الملائكة، وقدمن التحية بشكل رقيق.

وتقدمت الفتيات بباقات الزهور (التى اشتراها عماد من أسيوط) إليهم.

همس فكرى لرفيقيه: ثناء أحضرت ثلاث فتيات من مدرسة الفرنسيسكان لمساعدتها.

قال اسماعيل عيد: كنت أفضل.. لو استخدمت تلميذات مدرستها.

وقال محمد مرسى: الفرنسيون يمتازون بالإتيكيت.

وقبل أن يتحرك المسئولون الثلاثة ظهرت المديرة ثناء، وهى تحاول أن تلصق ابتسامة على شفتيها، وظهرت المدرسة مها تسير بجانبها، ووجهها متهلل، وعلامات السرور تتقافز عليه.

صافحت ثناء المسئولين الثلاثة، وقدمت مها لهم قائلة: الأستاذة مها.. المسئولة عن فصل عصافير الجنة.

قدمت مها التحية لهم بنفس الطريقة التى قدمتها الفتيات الصغيرات بأن ثنت ركبتيها، وهزت رأسها، وهى تهمس بالتحية.

قال فكرى بلهجة ساخرة: أهنئك على البنات الثلاثة القادمات من مدرسة الفرنسيسكان.

عبست ثناء وقالت بحدة: إنهن من مدرستى.

وأسرعت مها بالقول: إنهن من فصل عصافير الجنة.

قال فكرى مستدركاً ومتأسفاً: آه.. إنهن ملائكة.

ثم تفحص فى وجوه الفتيات الثلاثة، ورأى هناك علامات أكدت له أنهن من عصافير الجنة.

قال محمد مرسى: دعنا نرى باقى النشاط.

قالت ثناء بقوة ممتزجة بحدة تدل على خوفها: كل ما ترونه سيكون من نشاط عصافير الجنة.

قال اسماعيل عيد: دعونا نرى.

وأنقذ جرس المدرسة الموقف، فتقدم الجميع إلى الفناء.

★ ★ ★ ★

اصطفت الطوابير، وبدت وداد ضابطة المدرسة متوترة وهى تصرخ فى التلاميذ، اقتربت مها منها وهمست لها:

- كونى طبيعية.

وداد نظرت بغيظ لها، وهى تشعر أن مها هى السبب فى التوتر الذى تشعر به.

أما الموجهون الثلاثة فقد لاحظوا أن هناك ٦ من التلاميذ يضعون شارة «شرطة المدرسة» ويسيرون معاً بجدية مبالغ فيها، ويقفون أمام التلاميذ المتلكئين ويشيرون لهم للطابور.

وقفت وداد وسط الطوابير وصاحت: مدرسة.. صفا.. مدرسة انتباه.. مدرسة تحية العلم.

والآن كلمة مديرة المدرسة.

تقدمت ثناء ورحبت بالضيوف، وأولياء الأمور الذين لم يتجاوزوا ثلاثة رجال بينهم الدكتور عماد.

ثم قالت: يسعدنى أن أقدم لكم فصل عصافير الجنة، وهو يقدم نشيد مدرستى، وكلمة الصباح، فضلاً عن ضبط النظام ونظافة المدرسة.

ولاحظت مها أن ثناء لم تقل عنها أية كلمة.

وقالت وداد: الآن نقدم لكم التلميذ أيمن كمال فى كلمة الصباح.

شعر أيمن بالاهتزاز، اقتربت مها منه، وهمست له: تقدم يا بطل.. إنها مجرد لعبة، همس أيمن بإضطراب: ماما لم تأت.

قالت مها: أنا موجودة معك.. هيا تقدم.. إملأ عقلك بالأفكار العذبة، وعمك عماد يشير لك بعلامة النصر.

تقدم أيمن، وأنفاسه تتقطع، وهو ينظر يميناً ويساراً تأكد الموجهون الثلاثة أنهم أمام تلميذ مختلف.

وثناء شعرت بالضيق، والتفتت باحثة عن مها تريد أن تنفجر فيها.

تقدمت شيرين من أيمن وأعطته وردة، وقالت له:

- إنها لعبة.. لعبتها كثيراً معنا..

وحركة شيرين كانت حسب طلب بابا عماد منها، ودفعها للذهاب إليه.

وتمالك أيمن أعصابه وأخذ نفساً عميقاً، وبدأ الكلام مرتعشاً لكن

أمه ظهرت فى هذه اللحظة، وهى تسرع نحو الطابور لتقف مع أولياء الأمور والموجهين، رحب عماد بها وهمس لها بكلمات . فأشارت لأيمن، وأرسلت له القبلات، ابتسم أيمن وارتاحت أعصابه، وانساب صوته، وأنهى كلمته المعبرة، وصفق الجميع له.

قال فكرى: من الواضح أن ثناء قد بذلت مجهوداً كبيراً.

قال اسماعيل: إن ما فعلوه مقبول فى حدود طاقاتهم.

قال محمد مرسى: النشيد سيكشف كل شىء.

ارتفع صوت وداد، وهى تقول: والآن نشيد مدرستى.

وقف حمدى أمام الميكروفون، وخلفه البنات الثلاثة فى ملابس الملائكة.

أصاب الرعب المديرة ثناء، وهى ترى الأولاد يسرعون ليصطفوا خلف البنات.

التفتت بجزع لتبحث عن مها، رأت نجلاء، أشارت لها بغيظ لتقترب منها، وسألتها وهى متوترة:

- ما هذا؟!

قالت نجلاء متجاهلة:

- نشيد المدرسة.

- أنا أسأل عن الأولاد.

- اطمئنى إنهم فى خير حال، وتم تدريبهم جيداً.

- أين مها ؟ ارسلى مها، أريد مها.

ارتفع صوت وداد: أرجوكم الصمت. النشيد سيبدأ.

وأشارت نجلاء لحمدى الذى كان ينظر نحوها.

ارتفع صوت حمدى.. صوت معبر وقوى وصاف. ثم رددت الفتيات خلفه.. المقطع بالكامل. ثم.. ارتفع صوت الأولاد بالكلمة الأخيرة فقط.

وكان النشيد منضبطاً على نغمات الموسيقى المسجلة.

وثناء لا تكف نظراتها عن البحث عن مها. إلى أن انتهى النشيد، وسمعت ثناء التصفيق.. التفتت نحو الموجهين فوجدتهم يصفقون.. ووجوههم مبتسمة. فتنفست بعمق وشعرت بالراحة، لكنها شعرت براحة أكثر عندما انصرف التلاميذ إلى فصولهم بخطوات منتظمة على دقات طبلة شيرين، ونغمات كمان طارق.

★ ★ ★ ★

تلقت المديرة ثناء الموجهين على نشاطها، ورعايتها للمختلفين حتى وصلوا إلى هذا المستوى المشرف.

لكن فكرى عبدالحافظ مسئول التقييم والتطوير قال لها: أنا أريد أن أرى طريقة تدريس مس مها، وأيضاً مدى تفاعل الأولاد معها.

همست ثناء لنفسها: كل هذا بسبب مها.

لكنها ابتسمت ابتسامة خافتة كأنها تعلن عن حرجها وضيقها.

وقالت له: تفضل اذهب للفصل، وسأدلك عليه.

لكن الموجه محمد مرسى كان يريد أن يتأكد من أن أفراد عصافير الجنة هم الذين رآهم ينشدون، وأيضاً استقبلوه بتلك الطريقة الراقية، وانضم إليه الموجه اسماعيل عيد.

★ ★ ★ ★

فى الفصل طافت نظرات محمد مرسى واسماعيل عيد بعصافير الجنة وتأكدا من أنهم هم من رأوهما يستقبلونهما، وينشدون النشيد.

أما الأستاذ فكرى عبدالحافظ فقد لفت نظره أن جدران الفصل ممتلئة بلوحات وصور للطيور والحيوانات. كما أنه وجد دولاباً فى ركن من الحجرة، وطلب من الأستاذة مها أن تفتح الدولاب، فوجد نماذج خشبية، وأيضاً حروفاً وكلمات، كما وجد كثيراً من مجلات الأطفال المصورة وقصصاً مصورة للأطفال وأيضاً كثيراً من صور الحيوانات والطيور.

فسأل الأستاذ فكرى بعض التلاميذ عن بعض الكلمات وأيضاً عن بعض العمليات الحسابية. وأخيراً طلب أن يجلس مع مها عقب الحصة.

وفى المقابلة طلب منها أن تركز هذا العام على مهارة القراءة والكتابة أولاً، وأن تحضر بروجيكتور للصور، وأن تأخذهم للحقول لرؤية الحيوانات والطيور والمزروعات.. لثراء الحواس.. وهى باب المعرفة.. وأيضاً إيقاظ العقل.

★ ★ ★ ★

أثنى الموجهون على التجربة، وحيوا ثناء على جهودها وهذا أسعدها، وأطل السرور من عينيها.

وقالت لهم أنها قامت بهذا المجهود بمبادرة خاصة منها بالرغم من اعتراض الجميع لها. ولم تذكر كلمة واحدة عن مها.

٣٦ - احتفال في القصر

الدكتور عماد يسافر خلف الأحلام (المهاجرة عبر النافذة إلى قبو النسيان)، ويمسك بها، ويحولها لحقيقة ويأتى بها إلى زوجته مها ليسعدها.

فقد فاجأهاعند عودته من أسيوط بأن قال لها: هناك كرتونة فى السيارة، أرجو أن تحضريها وتعرفى ما بها.

صاحت مها: وهى تفتح الكرتونة: بروجيكتور للإيضاح.

قال عماد بهدوء: نعم سمعتك تذكرينه كوسيلة إيضاح فى التعليم.

ارتمت فى حضنه وقبلته قائلة:

- أنت هدية السماء لى.

- بل أنت الهدية، ومصباح حياتى المضىء.

- بالمناسبة ياحبيبى، سيكون عيد ميلاد طارق وشيرين بعد يومين.

قال عماد بصوت حزين:

- هذا ثانى عيد ميلاد لهما بعد رحيل أمهما، ولا أحب الاحتفال به.

أسرعت مها بالرد:

- بالعكس يجب أن نحتفل بهما، فجو الفرح يغسل الكدر الذى يرين على النفوس، ولا تنس أن طارق وشيرين قد حققا نجاحاً، وأنت كنت شاهداً عليه.

أطرق عماد قليلاً، فهو يحب تحقيق مطالب مها، ويعرف أنها تسعى للخير، ولا يسعدها إلا سعادة الآخرين.

ثم رفع رأسه قائلاً:

- فى هذه الحالة ندعو فصل عصافير الجنة كله .

ابتهجت مها ، واتسع الأفق أمامها ، وقالت:

- وندعو الأستاذة نجلاء مدرسة الموسيقى.

أضاف عماد:

- والأستاذة ثناء مديرة المدرسة وزوجها المحاسب شوقى.

قالت مها:

- وبالطبع أيمن ووالداه، ومن حُسن الحظ أن الأستاذ كمال هنا.

قال عماد بجدية:

- قد يرفض.

قالت مها:

- سأحاول إقناعه، فنحن أسرة واحدة .

فى الفصل صفقت مها بيديها لتسترعى الانتباه. وعندما اختفت الأصوات، وهدأت الحركة، استدعت طارق وشيرين للحضور أمام الفصل، وقالت: شيرين وطارق لديهما ما يقولانه، فاستمعوا إليهما.

وقف طارق وشيرين وهما يضحكان وضحك باقى الفصل بدون سبب.

تذرعت مها بدرع الصبر حتى هدأوا تماماً، همست لطارق وشيرين:
- هيا وجها الدعوة.
قالت شيرين: بعد بكرة عيد ميلادنا.
أسرع طارق بالتكملة:
- أنا وشيرين، وندعوكما لحضور..
أخذت شيرين الكلمة:
- الحفل فى قصرنا..
تدخل طارق، وقال:
- بعد المغرب.
صاحت مها:
- هيه.. كل سنة وأنتم طيبون.
صاح باقى الفصل، وهم يرفعون الأدراج ويخفضونها بشدة :
- هيه.. هيه.. كل سنة وأنتم طيبون.
دخلت ثناء بوجه متجهم، وسألت:
- ماذا يحدث هنا؟
صاحت مها عندما رأتها:
- قيام.
قام التلاميذ تحية للمديرة، التفتت ثناء إلى مها، وقالت لها:
- أرجو أن تسيطرى على الفصل.
- عيد ميلاد طارق وشيرين بعد غد، وأنا دعوت الفصل، وسآتى إلى مكتبك لدعوتك.
- أنا؟!
- نعم، أنت وزوجك، سيكون حفلاً جميلاً فى القصر.
انصرفت ثناء، ومشاعرها غير مستقرة نحو مها.
وفى الفسحة اصطحبت مها طارق وشيرين وأيمن إلى حجرة

الموسيقى، تطلعت نجلاء إليهم وهى متحفزة، فمها هذه مشتعلة بالرغبات، ولا تدع أحداً يركن للراحة.. والكسل.

السؤال يطل من عينى نجلاء عن سبب الزيارة.

ابتسمت مها، واحتضنتها وقبلتها.

قالت نجلاء:

- ماذا وراءك؟

- استمعى لطارق وشيرين.

اندفع الاثنان للقول: أنت مدعوة لحفل عيد ميلادنا يامس.

تنهدت نجلاء بارتياح وسألت: متى؟

قال أيمن: بعد غد، بعد المغرب، فى قصرنا.

★ ★ ★ ★

فى الفسحة الكبيرة، استأذنت مها من مديرة المدرسة لأخذ عصافير الجنة إلى محل قريب لشراء بعض الأشياء لهم لزوم عيد الميلاد.

التفتت ثناء إليها، وقالت متعجبة: فى داخلك جمرة بدلاً من قلبك لماذا لا تهدئين؟!

قالت مها بطريقة رصينة: إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه ، أليس هذا شعارك ياحضرة المديرة؟

تساءلت ثناء بدهشة ورضا:

- شعارى أنا؟!!

- نعم.. أنت دائماً ترددينه للمدرسات.

هزت المديرة رأسها، وابتسامة صغيرة مرتسمة على شفتيها وقالت لها: اذهبى يامها ولا تتأخرى، وهمست لنفسها.. هذه المدرسة تفهمنى أكثر مما أفهم نفسى.

ركب التلاميذ سيارة الدكتور عماد التى كانت فى انتظارهم حسب اتفاقه مع مها، ووصلوا إلى محل اللعب.

اختارت مها بعض الأقنعة المضحكة للأولاد، واختارت للبنات قبعات جميلة. كما اشترت كثيراً من البالونات الملونة، والشموع الخاصة بعيد الميلاد، والطراطير الملونة للأولاد. وعادوا إلى المدرسة قبل نهاية الفسحة الكبيرة.

فى الفصل اتفقت مها مع تلاميذها على ترتيبات الحفل.

★ ★ ★ ★

فى اليوم السابق للحفل، وقت الغروب. استقبلت ماجدة مها فى الأنتريه، ماجدة تشعر بالقلق من طلبات مها، وهى معجبة بمها وحيويتها وطريقتها المتفاعلة مع الحياة، ولكنها لا تستطيع أن تجاريها خاصة وأن زوجها كمال يناصبها العداء بدون سبب، وبرغم ما تقدمه لابنهما الوحيد أيمن.

ببساطة مدهشة دعتها هى وزوجها للاحتفال بطارق وشيرين.

دخل كمال إلى الأنتريه، وبعد تحية مقتضبة قالت ماجدة له:

- زوجة أخيك تدعونا للاحتفال بطارق وشيرين غداً.

- أنا مرتبط غداً.

- فليأتى أيمن وأمه.

- هما لا يذهبان إلى أى مكان بدونى.

- الاحتفال هنا فى القصر.

- نحن لا نهتم بالاحتفال.

- أنت تظلم أيمن، فمثل هذا الاحتفال ضرورى له.

- أنت تهتمين بالاحتفالات لا بالتعليم، قولى لى: ماذا تعلم أيمن حتى الآن، إنه لا يعرف شيئاً فى الحساب.

- إنى أركز معه فى مهارات القراءة والكتابة، وقد قطع شوطاً كبيراً فى ذلك.

سألها بعناد وضيق:

- وماذا عن الحساب؟
- اسألنى عندما يصل للسنة النهائية.
- لماذا؟
- لأنى أتبع طريقة مختلفة فى التعليم وسينجح إن شاء الله. المهم أن تتركه يأتى لمشاركة فصله فى الاحتفال.
- فصله؟! هل دعوت كل الفصل ؟
- كنت أتمنى لو دعوت كل المدرسة.
- أنت سيدة مختلفة، وكل ما أرجوه أن تدعينا فى حالنا.

★ ★ ★ ★

فى يوم الاحتفال بعد الغروب، حرصت مها على إعداد الحديقة ومدها بالمقاعد، وأحاطت الأشجار بعناقيد من الثريات الملونة. وارتدت شيرين ملابس الملاك، كما ارتدى طارق ملابس فاخرة، ولبس طرطوراً ملوناً. وصدحت الموسيقى فى أركان الحديقة.

وأعدت مها كميات من الفطائر والجاتوه والكعك والحلويات. وعماد استخدم تليفونه المتطور في التصوير.

وجاءت المديرة ثناء وزوجها المحاسب شوقى، وجاءت نجلاء مدرسة الموسيقى.

ثم جاء موكب فصل عصافير الجنة، بنتان فى ملابس الملائكة والأولاد يلبسون الأقنعة، وطراطير ملونة، ويمسكون الشموع.

البنتان فى الأمام تسيران معاً وتمسكان شموعاً كبيرة ملونة والأولاد فى صفين يرفعون الشموع لأعلى.. خلف البنات منظر تشكيلى جمالى.. أشرفت مها على إخراجه.

والجميع يغنون وهم سائرون نحو الحديقة:

سنة حلوة ياجميل

سنة حلوة ياطارق

سنة حلوة ياشيرين

وقفت شيرين بملابسها الملائكية.. ووقف طارق لاستقبال فصل عصافير الجنة، وما أن اقترب الفصل حتى أدارت مها أغنية:

يالله حالا بالا نحيى أبو الفصاد

ده عيد ميلاده الليلة من أحلى الأعياد

ابتسمت ثناء، وهى ترى المنظر، وهمست لنفسها مها هذه تلون الحياة بالفرحة. وأسرع عماد بتصوير المشهد الجميل.

★ ★ ★ ★

أصوات الموسيقى والأغانى تصل إلى أذنى أيمن فيلتفت إلى أمه ويهمس بلهجة رجاء: يا ماما!!!

أمه تعرف محتوى النداء وسببه لكنها عاجزة عن تلبية طلبه لوجود زوجها الأستاذ كمال فى البيت.

وجود كمال فى البيت يخلق جواً خانقاً، جواً ثقيلاً، كابوسا محملاً بالواجب والمحاذير والنصائح.

وبالرغم من إحساس السيدة ماجدة بثقل المهمة فإنها اتجهت لزوجها فى مكتبه وقالت له:

- أرجوك، اسمح لأيمن بالذهاب لعيد ميلاد أبناء عمه.

قال كمال بهدوء:

- أخى لم يدعنى.

- جاءت زوجته ودعتنا.

- هذا خطأ من أخى، ولا أدرى كيف يترك هذه السيدة تتحرك كما يحلو لها.

- إنها زوجته.

- وهذا خطأه.

★ ★ ★ ★

وفى الجو الاحتفالى، وأثناء لعب مها مع باقى الأطفال لعبة الكراسى الموسيقية، اندمج الأطفال فى اللعبة. واندمجت نجلاء معهم، وساد المرح بين الجميع.

أما الأستاذ شوقى فقد انتهز فرصة تواجده مع الدكتور عماد، وقال له:

- ماذا فعلتم فى تسويق العجول التى لديكم؟

عماد:

- هذه أمور متروكة لأخى الأستاذ كمال.

- أى أمور تتحدث عنها.

- أمور الزراعة والتجارة والاستثمار عموماً.

- وهذا مجالى، أرغب فى التعرف للأستاذ كمال.

- سأذهب لإحضاره لك.

★ ★ ★ ★

صوت جرس الباب أثار انتباه أيمن، أسرع لفتح الباب، وجد عمه عماد الذى بادره بالسؤال:

- لماذا لم تحضر يا أيمن؟

أيمن نكس رأسه، ولم يجب.

أكمل عمه عماد:

- هل بابا موجود؟

- نعم تفضل ياعمى، وأرجوك أطلب منه أن يتركنى للذهاب للحفل.

ابتسم عمه له، وربت على كتفه.

وفى الصالون، جاء كمال، وحاول أن يكسو وجهه بقناع ودود. بادره عماد بالقول:

- عندى الأستاذ شوقى المحاسب، وهو يهتم بأمور الاستثمار، ويرغب فى التعرف بك، والتعامل معك.

لا شيء يثير اهتمام الأستاذ كمال سوى الأمور المالية. فقبل الدعوة فوراً. وسمح لأيمن وأمه بالذهاب للحفل.

★ ★ ★ ★

انضم أيمن للأطفال، واندمج معهم فى لعبة الكراسى الموسيقية التى تديرها مها، وانضمت ماجدة لثناء فى المشاهدة.

★ ★ ★ ★

تدارس كمال مع شوقى أحوال السوق، وتأكد كمال من خبرات شوقى فى مجال البيع والسمسرة. وعرض كمال عليه صفقة بقول من نوعية الفول ، لديه منها ٢٠٠٠٠ إردب مخزونة فى شونة فى القصر.

قال شوقى:

- لدى المشترى، لكن ما هى عمولتى المحتملة؟

نظر كمال له فاحصاً، وقال:

- ٥٠٠٠ جنيه على أن تأخذها بعد تحصيل المبلغ بالكامل.

- لا.. أنا بآخذ عمولة ٥٪، والتحصيل عند تحصيل أى مبلغ آخذ ٥٪ منه.

- لا أدفع سوى ١٪.

- فلتكن ٣٪.

-لا.. ٢٪ وهذا كثير.

وبعد أخذ ورد اتفقا على ٢.٥٪ .

★ ★ ★ ★

قطع طارق التورتة، وقطعت شيرين التورتة، وشارك أيمن فى توزيع التورتة، وشارك أيمن فى توزيع التورتة على عصافير الجنة.

وانتهت الحفلة، وقد تركت آثاراً بهيجة فى كل النفوس وخاصة كمال وشوقى. أما طارق وشيرين فقد حلم كل منهما حلماً ساحراً مع الموسيقى والأغنيات والضحكات.

٣٧ - القط والفأران

مها توظف كل حدث لتعليم تلاميذها وهى تطلق عليهم لفظ (عيالى)، ورأت أن حضور عيالها حفل عيد الميلاد فرصة مواتية لتعليمهم بعض المهارات اللغوية والمهارات السلوكية.

وقفت أمامهم، وقالت: هيا نتعاون معاً لضم «التخت» فى مؤخرة الفصل لأننا سنجلس معاً على الأرض.

صاح التلاميذ: هيه!! هيه!!!

فهم يفرحون لكل جديد، ويطربون لكل حركة.

وبدأوا فى تحريك «التخت» إلى آخر الفصل، أشرفت مها على تنظيم حركتهم، ولاحظت أن أصواتهم عالية، مع تصاعد انفعالاتهم، وحملت أصواتهم بالغضب الساذج.

اجتذبت أصواتهم المديرة ثناء، فسارت نحوهم، ووقفت عند النافذة لتراقب ما يحدث.

مها فرشت ملاءة (كانت قد أحضرتها معها) فى وسط الحجرة وطلبت منهم الجلوس فى دائرة، وجلست هى فى وسط الدائرة وبدأت الحديث قائلة: سنحكى جميعاً ما حدث فى الاحتفال، فبالأمس كان عيد ميلاد شيرين وكانت تلبس..

أشارت مها لشيرين فصاحت: فستاناً أبيض وحذاء أبيض .

ووقفت شيرين، وهى تكمل، أشارت مها لها بأن تجلس، وقالت مها:

- والشىء السعيد أنه كان عيد ميلاد طارق، وكان يلبس.

وأشارت لطارق، فوقف وصاح قائلاً:

- قميصاً أبيض، وبنطلوناً أسود وحذاء أسود وطرطوراً.

ضحك الأطفال ، وقال كل منهم وأنا كنت ألبس طرطورا

خلف النافذة ابتسمت ثناء .

قالت مها: لا يتكلم أحد إلا عندما يأتى الدور عليه.

ثم جاء عصافير الجنة، وكان حمدى يلبس. وأشارت لحمدى فوقف

وصاح: بنطلوناً أزرق وطرطوراً ملوناً..

استمرت مها فى حكايتها حتى انتهى جميع الأطفال، وكانت تقصد تدريبهم على مهارات الحديث واللغة، لكنها اكتشفت ظاهرة غريبة عند الأطفال، وهى علو الصوت فى جميع الأحوال .

فقالت لهم:

- سنمثل تمثيلية القط والفأر.. فمن يكون القط؟

قال طارق:

- أنا.

لاحظت مها أن أيمن يميل للسكون، ونظراته منكسرة، ووجهه حزين، اقتربت منه وسألته:

- ماذا بك؟

- أنا لم أحتفل بعيد ميلادى.

- سنحتفل به بعد أسبوع.

- لا.. أنا أريد الآن مثل طارق وشيرين.

سألته مها:

- هل تذهب للمدرسة يوم الجمعة؟

- يوم الجمعة أجازة.

- بالضبط، فكل شىء له وقت، وعيد ميلادك وقته بعد أسبوع.

- وهل ستحتفلين به معى؟

- طبعاً أنا وكل عصافير الجنة، هيا اشترك فى التمثيل معنا ولتكن الفأر.

- لا.. أنا القط.

- أنت مرة الفأر، وأخرى ستكون القط.

صاحت شيرين: وأنا أريد أن أكون الدب.

مها: نحن نلعب القط والفأر.

قالت : أنا سأكون الفأر .

صاح أيمن لا .. أنا الفأر .

همست ثناء خلف النافذة: ماذا ستفعل مها؟!

قالت مها: نحن نريد فأرين.

صاح باقى التلاميذ: ونحن؟

قالت مها: نحن سنكرر التمثيلية، وسنرى من يكون الأفضل فى التمثيل.

أعجبت ثناء بتصرف مها وتساءلت: كيف تحصل هذه المدرسة على هذه الأفكار؟!

وقفت مها تشرح لهم أحداث التمثيلية، وقالت: أين الفأر؟

تقدم طارق وشيرين وأيمن.

قالت مها: يدخل الفأران شيرين وأيمن المطبخ يبحثان عن طعام ويريان الثلاجة مغلقة، ويتعاونان لفتحها، ويهمسان ويتساءلان عن الجبن والطماطم.

ثم يدخل القط ويتكلم بصوت مرتفع متسائلاً عمن فتح الثلاجة، ويبحث عن الفأرين ، وهما مختبئان ، ويهمسان سراً لبعض ثم يغادران البيت ، وخارج البيت يتحدثان بصوت مرتفع معبرين عن فرحهما .

التلاميذ يستمعون للتمثيلية التى قالتها مها بإهتمام وشغف شديد.

وهمست ثناء خلف النافذة: مها تدربهم على التحكم فى الصوت من خلال هذه التمثيلية، أين تعلمت هذا؟!

أشارت مها لشيرين وأيمن ليبدآ.

تحرك أيمن بحذر، أما شيرين فقد جلست على الأرض مقلدة حركة الفأر، سأل أيمن: أين الثلاجة؟

أشارت مها إلى الدولاب، وقالت: سنعتبره الثلاجة.

قالت شيرين ضاحكة:

- إنه الدولاب يا أبلة.

- نعم سنعتبره الثلاجة.. هيا تحركا.

قلد أيمن شيرين، وجلس على الأرض، وتحرك الاثنان نحو الدولاب.

قال أيمن: أين الجبن؟ وأين الطماطم؟

كان صوته مرتفعاً..
قالت مها: اهمس بكلامك حتى لا يسمعك القط.
صاح طارق: أنا القط، وسآكل أيمن.
وقف أيمن، وقال غاضباً: لا أحد يأكلنى.
ذهبت مها إليه، وكلمته همساً، فعاد للتمثيل.
وأخفض صوته شيئاً ما، وسأل: أين الجبن والطماطم؟
قالت مها: اهمس حتى لا يسمعك أحد غير شيرين.
فهمس: أين الجبن؟ والطماطم؟
صاحت شيرين: إنى لا أسمعه.
اقتربت مها من شيرين وأيمن، وهمست: أين الجبن؟ والطماطم؟
وهمست لأيمن: تكلم مثلى.
ونجح فى هذه المرة أن يهمس وتسمعه شيرين.
فصاحت شيرين: الجبن والطماطم فى الثلاجة.
اقتربت مها منها، وهمست: تكلمى همساً ياشيرين حتى لا يسمعك القط.
صاح أيمن: أنا القط.
ضحكت ثناء خلف النافذة.
همست مها لشيرين: اهمسى هكذا.. الجبن والطماطم فى الثلاجة، ونجحت شيرين فى الهمس.
صاح أيمن: وأين الثلاجة؟
نظرت مها إليه، فأعاد كلامه همساً.
صاحت شيرين: إنها أمامنا.
قال أيمن لها: تكلمى همساً.
نظرت شيرين لمها فقالت لها: نعم تكلمى همساً.
فهمست شيرين: إنها أمامنا.
وتقدم الاثنان نحو الدولاب، وأمسك أيمن بمثلث وقال:
- يالها من جبنة لذيذة!!

صاحت شيرين: قل همساً.
فأعاد كلامه همساً.
وأمسكت شيرين بدائرة، وقالت: يالها من طماطم لذيذة.
وصاح أيمن: تكلمى همساً.
فأعادت كلامها همساً
أشارت مها لطارق ليدخل .
دخل طارق وهمس: من فتح الثلاجة؟
قالت مها: تكلم بصوت مرتفع، أنت القط وتريد إخافة الفئران.
فصاح طارق: من فتح الثلاجة؟
صاحت شيرين: أنا فتحتها.
قالت مها: أنت الفأر.
ضحك الفصل، وضحكت ثناء.
قالت مها: أنت الفأر لا تتكلمى، واختبئى أنت وأيمن خلف الدولاب.
أسرع الاثنان للاختباء.
تقدم طارق نحو الدولاب، وقال: من فتح الدولاب؟
قالت مها: من فتح الثلاجة ياطارق؟
قال طارق: من فتح الثلاجة ياطارق؟
قالت مها: من فتح الثلاجة فقط؟
قال طارق: من فتح الثلاجة فقط؟
قالت مها: أنت تمثل قل من فتح الثلاجة؟
قال طارق: من فتح الثلاجة.
خرجت شيرين من خلف الدولاب، وقالت له: أنا هنا ياطارق تعال امسكنى.
قالت مها: عودى لمكانك، وهو سيبحث عنك.
وأشارت مها لطارق ليستمر فى التمثيل.
قال طارق: إنى أشم رائحة فئران هنا.. أين أنتم أيها الفئران.
خرجت شيرين من خلف الدولاب وقالت: نحن هنا.

ضحك التلاميذ، وضحكت ثناء.

لكن مها تتمتع بصبر، وتفهم، فكانت لا تعلق ولا تتوقف عند أى أخطاء.

وقالت لأيمن: هيا أكمل دورك همساً.

قال أيمن لشيرين همساً: دعينا نترك هذا المنزل الذى يحرسه هذا القط.

ويتسلل الاثنان بعيداً.

والقط يتشمم المكان، ويقول: لا أشم رائحة فئران. ولكنى أشم رائحة جبن وطماطم فلآكل أنا.. هم.. هم.

يضحك الأطفال ويصيحون سروراً.

تشير لهم مها ليغنوا الأغنية فيغنون بأصوات متنافرة:

قطتى صغيرة
واسمها سميرة
لعبها يسلى
وهى لى كظلى
تجرى تحت السحارة
كى تصطاد فأرة
قطتى صغيرة
واسمها سميرة.

وأعادت مها التمثيلية بتلاميذ آخرين لتعم الفائدة.

★ ★ ★ ★

استدعت ثناء مها لمقابلتها.

وفى حجرة المديرة قالت ثناء لها: أنا تابعت التمثيلية التى قام بها عيالك.

سألت مها: وهل أعجبتك؟

قالت ثناء جداً.. لقد ضحكت كثيراً من شيرين، وأنا أقترح عليك عمل تمثيليات للأطفال بفريق تمثيلك هذا المضحك، ونعمل حفلاً فى نهاية العام.

قالت مها : هذا اقتراح جيد.

قالت ثناء : هيا ابدئى من الآن، وسأوفر لك ما تحتاجين.

صمتت ثناء قليلاً، وقالت: على فكرة سيزوركم زوجى الأستاذ شوقى مساء اليوم فأخبرى زوجك والأستاذ كمال.

٣٨ - صفقة تجارية كبيرة

مد المساء ملاءته القمرية . وكان الأستاذ كمال طافحاً بالبشر والقوة، وهو يجادل الأستاذ شوقى فى السعر، وكانا قد اتفقا عليه، والآن يتفقان على التفاصيل، ويصر الأستاذ كمال على أن سعر النقل على المشترى .

التفت الأستاذ شوقى إلى الدكتور عماد وقال: احضرنا يا دكتور.

وقبل أن ينطق عماد، ارتفع صوت كمال بشكل طاغ، وقال:

- الدكتور لا صلة له بهذا ؟

تساءل شوقى بلزوجة: كيف؟! هل المحصول ملكك وحدك؟

بصوت ثلجى قال كمال: هذا شىء لا يخصك .

تزاحمت أصوات التجار الثلاثة الذين حضروا مع شوقى

- صلوا ع النبى ياجماعة، وبين البائع والشارى يفتح الله، رحم الله امرءاً سمحا إذا باع. سمحا إذا اشترى.

وتتابعت الشعارات الدينية من قوم لا يحفلون من الدين إلا بقشوره .

وأخذ شوقى زمام الكلام مرة أخري، وحاول مع كمال فى أن يشترك البائع والشارى فى مصاريف الانتقال، لكن كمال كان واضحا وقاطعا فى أن التسليم من شونة القصر.

التجار الثلاثة ينظرون لشوقى بغيظ، وقال أحدهم: هذا ليس اتفاقنا يا أستاذ شوقى .

قال شوقى مستسلما : أنا واسطة خير، وليس لى فى الأمر شىء .

قال كمال كسبنا صلاة النبي، وكسبنا معرفتكم، ونراكم فى صفقة أخرى .

قال شوقى : الكلام ليس هكذا يا أستاذ كمال .

كمال : وكيف يكون الكلام ؟

قال شوقى: إعط التجار فرصة للتشاور .

قال كمال بحسم : غدا يوم آخر، واتفاق آخر .

قال أحدهم بغيظ واضح : أنت صعب يا أستاذ .

قال شوقى للتجار: اخرجوا للحديقة وتشاوروا .

قال التجار: تعال معنا .

خرجوا للحديقة ، وتجادلوا همساً ، ثم عادوا وسأل أحدهم: هل الكمية كلها موجودة؟

قال كمال: وجاهزة للتسليم.

قال التجار: هل تمانع فى رؤيتها؟

قال كمال: لا .

وتحركت سيارتان إلى نهاية أرض القصر، وفتح أحد العمال الشونة الخاصة بالتخزين، ورأى التجار الكمية كلها .

وقال شوقى : بسم الله .. ماشاء الله .

وتعجب عماد من كثرة استخدامهم لله فى معاملاتهم التجارية.

عاد التجار مرة أخرى للصالون، وقال الأستاذ شوقى : التجار موافقون على أخذ الكمية بالسعر المحدد .

بادر كمال: والنقل؟

شوقى عليهم

كمال على بركة الله .

شوقى : فلنقرأ الفاتحة على ذلك.

رفع الجميع أكفهم وقرأوا ماعدا عماد الذى أخذ ينظر لوجوههم وهم يتظاهرون بالورع .

وانصرف التجار، وهذا شىء أثار عماد فسأل أخاه:

- هل دفعوا مقدما ؟

- لا .

- ولماذا لم تطالبهم بذلك ؟

- لشىء فى نفسى .

- هل اتفقوا على ميعاد محدد لنقل الفول؟

- لا ، هم قالوا إنهم سيتصلون بتجار السنبلاوين، ثم يحددون ميعاد النقل .

- هل هناك عقد بينكم ؟

- هم يعتبرون الفاتحة عقداً بيننا .

- وأنت هل توافقهم على ذلك؟

- أنا مع السوق ولست معهم.

- كيف ؟

ابتسم كمال ، وهو يشعر بالتفوق على أخيه، وقال له

- أنت ساذج يا أخى ، لا تشغل بالك بهذا إنه عملى ، وأنا أدرى به .

- أليس هناك أخلاق أو التزام؟!

- فى التجارة والسياسة .. يوجد قانون واحد فقط هو قانون المصلحة .

اسمع هذا المثل لتفهم الحياة جيدا . فى مجلس الوحوش طالبت الأرانب بالمساواة، فسألتها الأسود: أين مخالبك وأنيابك؟!

٣٩ - من فضلك - شكرا

(مهارة تحكى عن مواقف تمثيلية)

لا شيء يبهج الأطفال مثل الألوان والهدايا، لذلك صاح الأطفال فرحا عندما بدأت توزيع علبة الألوان والورق الملون والمقصات عليهم .

وتصاعدت أصواتهم: أنا يا أبلة.

قلت لهم وأنا أبتسم : من يطلب شيئا يقول من فضلك . ومن يأخذ شيئا يقول شكرا .

تصاعدت كلمة من فضلك لسقف الحجرة، فضحكت، وقلت لهم : أنا سأمر عليكم بالدور، والجميع سيأخذون.

هدأت الأصوات، لكن الفرحة مرتسمة على الوجوه، فإعطاؤهم الهدايا يشعرهم بأنفسهم، ويجمل الحياة لهم .

وهذه الهدايا أحضرها زوجى الدكتور عماد، فهو دائما يفكر فى هؤلاء الأطفال مدفوعا بحبه لطفليه ودراسته وتخصصه . وكتبت على السبورة بخط جميل أنا أحب أبى ، أنا أحب أمى ، أنا أحب مدرستى ، أنا أحب أخى ، أنا أحب أختى . وهى كلمات.. كانوا قد تدربوا عليها، وطلبت منهم أن يكتبوها على الورق الملون ويقصوها، ويلصقها كل منهم فى كراسته .

الأطفال حدث لهم تقدم فى القراءة والكتابة لكنه تقدم بطيء ، وبالرغم من ذلك أنا راضية عنه، ومنهجى بالنسبة لهم .. بأن أكون بيئة ثرية لهم، وأن أغذى عقولهم بالأفكار الإيجابية، وأن أدرب حواسهم بقوة.. هذا المنهج يتحقق بشكل متوازن، وهذا دفعنى لزيارة كل تلميذ وتلميذة فى البيت ومقابلة الأب والأم، وبعث الأمل أولا فى أولياء الأمور، ثم أشرح لهم الطريقة المثلى فى معاملة تلاميذى بأن يبرزوا كل شيء إيجابى فيهم، ولايبخلوا فى تشجيعهم، والربت على أكتافهم والاحتكاك

البصرى معهم، واللعب معهم، والخروج معهم للحدائق وللأسواق وللسينما وللشوارع .

وأنا أحاول غرس السلوك الطيب فى نفوسهم عن طريق التكرار والتوضيح .

قلت لهم سنذهب للمكتبة، وسيأخذ كل منكم قصة جميلة، وسنقرأها معا، وسيحكيها كل منكم لنا، بعد أن أحكيها أنا وسنكتب من كل قصة بعض العبارات الجميلة.

- هيه!! هيه!!

هذه صيحاتهم تعبيرا عن الفرح، وأنا أقبل هذه الصيحات، أنا أريدهم أن ينطلقوا ، أن يكسروا كل السدود التى تأسر العقل والعاطفة.

قلت لهم : الأطفال المتميزون مثلكم يقفون صفا، لكى نذهب فى نظام.

وذهبنا للمكتبة، طلبت منهم أن يحيوا أمينة المكتبة . وطلبت من أيمن أن يسألها عن قصص الأطفال .

ذهب أيمن إليها وصاح : أين قصص الأطفال ؟

ابتسمت أمينة المكتبة له، وقالت بصوت هامس (حسب اتفاقنا) :

- قل من فضلك أين قصص الأطفال ؟

شعر أيمن بالحرج كعادته، وقال بصوت مرتبك: من فضلك أين قصص الأطفال ؟

أشارت الأمينة إلى المكان فانصرف أيمن، ووقف أمام الرف يقلب فى القصص .

اقتربت منه ، وقلت له هل وجدت قصة جميلة؟

ضحك ، وقال : كل القصص جميلة .

سألته : كيف عرفت مكان القصص ؟

- من الأبلة أمينة المكتبة.

- هل قلت لها شكرا ؟

نظر إليّ كالمعتذر، وقال:

- لا، هل أذهب إليها، وأقول لها شكرا .

- في المرة القادمة، ونحن دائما نقول شكرا لكل من يعرفنا بشيء أو يساعدنا في شيء أو يعطينا شيئاً .

صاح أيمن :

- أنا قلت شكرا لشيرين عندما أعطتني فطيرة .

★ ★ ★ ★

شرحت للتلاميذ تمثيلية أخرى سيمثلونها فى نهاية العام. وطلبت من شيرين وطفلة أخرى اسمها سهام أن تتقدما وتقفا خلف طاولة، وضعنا عليها عددا من الأشياء .

وطلبت من طارق أن يخرج ليشترى من الكانتين .

خرج طارق، ووقف أمام الطاولة.

صاحت سهام فيه:

- تكلم ... ماذا تريد؟

- أريد ساندويتش مربى .

ذهبت إليهم ، وشرحت لهم الموقف من جديد .

فتقدم طارق، وقال بثقة :

- من فضلك ياسهام أريد ساندويتش.

قالت سهام

- أى نوع ؟

- مربي

قدمت شيرين الساندويتش له

- تفضل .

- شكرا

وسار طارق قليلا .

صاحت شيرين : أين النقود؟

عاد طارق، وقال : كم تريدين؟

تدخلت أنا مرة أخري، وهمست له بالكلام، فأعاد الحديث قائلا :

- آسف كم تريدين ؟

- جنيهاً واحداً .. من فضلك .

أخرج طارق جنيها من جيبه، وسقط منه خمسة جنيهات .

صاح التلاميذ:

- خمسة جنيهات وقعت منك ياعبيط .

قلت لهم :

- إنها تمثيلية، فلا تتدخلوا، وإذا تدخلتم .. كونوا مهذبين فى كلامكم.

أشرت لأيمن أن يدخل للمشهد، هو وطفل آخر اسمه محمود.

أيمن التقط النقود، قال محمود له

- هيا نشترى ساندويتشات وحاجة ساقعة .

- إنها نقود طارق.

- نحن وجدناها .

- لا .. هذه تعتبر سرقة، فنحن نعرف صاحبها .

- كل واحد منا ساندويتش وحاجة ساقعة .

- لا ... أنا أمين ، ولست لصا .

وينادى أيمن :

- طارق .. طارق .

- نعم .. ماذا تريد ؟

- هذه نقودك سقطت منك .

- أشكرك ياصديقى .

تقدم محمود

- أنا كنت معه .

- أشكرك يامحمود أيضا .. أنتم أصدقائى وأدعوكم لتناول الحلوى.

محمود :

- نحن نقبل الدعوة على ساندويتش وحاجة ساقعة .

أشرت للتلاميذ فصفقوا للممثلين ، وأخرجت مجموعة أخرى للتمثيل، حتى اشترك الجميع .

البهجة تغذى أرواحهم، والتمثيل يغرس فيهم القيم النبيلة ويعالج انحرافاتهم السلوكية، ويضيف الكثير لمهاراتهم اللغوية وهذا يوقظ العقل بقوة، وأنا أراهن على ذلك .

★ ★ ★ ★

بعد أن قام الجد بدور الإمام لهما وطارق وشيرين وأيمن فى صلاة المغرب، قالت مها له : اليوم سنرى تمثيلية يقوم بها طارق وأيمن وشيرين.

سأل الجد مندهشا : أية تمثيلية؟! هل تقومين بعمل مسرح مثل الريحانى وعلى الكسار ؟

ابتسمت مها، فذاكرة الجد توقفت منذ زمن طويل، وسألته :

- هل تعرف فؤاد المهندس، وعادل إمام ؟

- من يكونان ؟

- الافضل أن ترى أحفادك .

وقام طارق وشيرين وأيمن بتمثيل موقف الشراء من مقصف المدرسة وسقوط مبلغ من طارق، وأيمن يجده ويقدمه له .

الجد يرى التمثيل، وهو متفتح المسام والروح، وشعر أن مها تساعده على تذوق الحياة والتفاعل معها من جديد، وأنها أضافت لحياته الكثير.. أضافت لعمره عمر أحفاده ، ولمشاعره مشاعر أحفاده فأصبح ينتظر مجيئهم للقاعة بفارغ صبر.

٤٠ - حادث أليم

يوم الجمعة بعد العصاري، عندما يصيب الشمس الفتور، وتتأهب للرحيل، هو الوقت الذى يحرص فيه الدكتور عماد على التنزه مع زوجته مها، وطفليه طارق وشيرين، وذلك يوم أجازته. بأن يسير الجميع من مسكنهم إلى طرف القصر الجنوبى حيث شونة تخزين الغلال، وفى أثناء سيرهم يلعب طارق وشيرين، ويجريان، أما عماد فإنه يتحدث مع مها فى تفاصيل حياتهم اليومية، ثم يعودون لبيتهم، ويجلسون فى الشرفة يتناولون الشاى والفطائر .

فى هذا اليوم رأى عماد حارس شونة الغلال (عبدالمغيث) فناداه، وسأله عن الفول، وعرف أنه مازال موجودا فى الشونة .

★ ★ ★ ★

أثناء عودته، قابله كمال، وكانت علامات السرور ظاهرة على وجهه، استأذنت مها ، واصطحبت الطفلين إلى البيت. سأل عماد أخاه عن سر سعادته .

قال كمال وهو طافح بالبشر والقوة تعلمنا الحياة أن حكمة الثعبان خير من رقة الحمامة .

تعجب عماد، وتساءل : ثعبان، وحمامة.. أنا لا أفهم شيئا .

قال كمال وابتسامته تتسع : لقد ارتفع ثمن الفول للضعف .

قال عماد :

- وماذا يعنى هذا ؟!

- يعنى أنى لن أسلم الفول للأستاذ شوقى وتجاره إلا بالسعر الجديد، وهذا سيزيد ربحى للضعف.

لاحظ عماد أن أخاه استخدم كلمة (ربحى) بدلا من كلمة (ربحنا) والأهم أنه شعر باضطراب فكرى ، وسأل أخاه

- ألم تلتزم معهم بكلمة ، وقرأتَ معهم الفاتحة؟!

- هذا منذ ثلاثة أسابيع .

- الالتزام هو الالتزام ، والفاتحة عقد مقدس .

- المثل العليا لا تصلح للتجارة .

- نأبى التسليم بالمثل العليا من طول انغماسنا فى الماء الآسن .

كمال : ماذا تقول ؟!

تنبه الاثنان على دخول عربة للقصر .

وفى الصالون جلس شوقى والتجار وكمال وعماد وبعد تناول المشروبات ، وأحاديث متطايرة لا معنى لها قال شوقى (المحاسب السمسار) جئنا لتسلم الفول، ودفع الحساب .

قال عماد بصوت ثلجى : أى فول ؟!

ذهل عماد من إجابة أخيه، وتنبهت أعصابه لمتابعة الحديث.

قال شوقى ، وهو مازال محتفظا بابتسامته: اتفقنا على ٢٠٠٠٠ أردب، وقرأنا الفاتحة .

سأله كمال ما الذى منعكم من تسلمه؟

قال أحد التجار كنا نتفق مع تجار السنبلاوين .

قال كمال بسخرية وعلىّ أنا أن أنتظر حتى تتفقوا .

اختفت الابتسامة، وحل التوجس والشكوك .

قال أحدهم هل الفول موجود أم لا ؟

قال كمال بصراحة مقيتة لا

تدخل شوقى بسرعة، وقال : ياجماعة صلوا ع النبى ، احضرنا يادكتور عماد .

التزم عماد الصمت ، وهو يشعر بأن المال المفعم بالسيادة هو الذى يتحدث .

قال أحد التجار لكمال : هل تطمع فى قرشين زيادة ؟

قال كمال هازئا : أطمع ؟!

قال تاجر آخر : نحن مستعدون لزيادة السعر قليلا .

قال كمال : الأسعار اليوم الضعف .

قال التاجر: نعم لكننا متفقون منذ ثلاثة أسابيع .

كمال: هل دفعت مقدما ؟ هل كتبت عقدا ؟ هل أخذت بضاعتك ؟

التاجر: نحن فى السوق نلتزم بكلمتنا، والفاتحة عقد.

قال كمال وهو يتسيد الموقف : من نحن ؟

التاجر: التجار .

كمال: ولكنى لست بتاجر ، أنا محام.

تدخل شوقى محاولاً إنقاذ الموقف: دعنا نتشاور قليلا فى الخارج .

كمال :لا داعى لذلك لأنى بعت الفول .

قال أحدهم لينهى الموقف: سنأخذ منك بسعر السوق .

قال شوقى ضاحكا والآن ليست لديك أية حجة يا أستاذ كمال.

كمال: كان من عينى، ولكنى بعت الفول .

وعماد مذهول من قدرة أخيه على الكذب .

قال أحدهم ماذا تريد يا أستاذ كمال ؟

كمال: أريد سلامتكم .

التاجر: هل تريد أن نتحمل سعر النقل، قبلنا ياسيدى .

قال شوقى هذا فصل الختام.

قال كمال : أنا آسف، فلنتقابل فى صفقة أخرى .

زفر أحد التجار، وقد تملكه اليأس: هذه ليست أصول، أو حتى طريقة تعامل، وأنا أحذرك من البيع لآخرين.

انتفض كمال واقفا، وقال له أتهددنى فى بيتى ؟ تفضلوا من غير مطرود .

تلبد الجو بالغيوم، وشعر شوقى بأنه لا فائدة ، فانصرف مع التجار، وهو يقول لكمال: سأعود لك منفرداً .

وبعد قليل عاد شوقى ، وجلس مع كمال، وحاول أن يدفع الدكتور عماد للحضور ، لكن عماد اعتذر بعيادته ومرضاه، وانصرف .

ضحك شوقى ضحكات خاوية، وسأل كمال: هيا أخبرنى بما تريد ؟

قال كمال بصلابة أنا بعت الفول .

شوقى: لكنى أعرف أن الفول موجود .

صمت كمال ، وقال بوضوح : الفول موجود ، ولن أبيع الآن.

شوقى: لماذا ؟! ونحن مستعدون لكل مطالبك.

كمال: لن أبيع الآن، هذا قرارى .

قال شوقى : أنت ستنزل ضررا كبيرا بالتجار لأنهم اتفقوا مع تجار السنبلاوين، وقبضوا، ولن يجدوا هذه الكمية الكبيرة مع آخرين .

كمال: هذا ليس شأنى .

شوقى: لا .. شأنك، فلن يتركوك تضر بهم .

كمال: عدت للتهديد .

شوقى: لا ياصديقى هذا فهم للوضع فالرجال لا تعطى كلمة وتتراجع فيها.

كمال: هذا قانونكم أنتم، أما قانونى أنا المنفعة أهم من كل شىء، وأنا أنتظر تحرك السعر مرة أخري.

شوقى: هل هذا آخر كلام ؟!

كمال: وليس لدى غيره .

★ ★ ★ ★

مرت ثلاثة أيام فقط وفى اليوم الرابع كان الدكتور عماد يتنزه مع أسرته وقت العصاري، وهو منشرح الصدر ، فقد تحدد أخيرا ميعاد مناقشة الدكتوراة، وعند وصولهم إلى شونة الغلال، لاحظ تصاعد دخان.

نادى : عبدالمغيث .. ياعبد المغيث .

لم يسمع إجابة، نظر لمها، وقال لها: عودى إلى البيت، وأبلغى كمال، وإن لم تجديه أبلغى الشرطة والمطافى .

مها : لن أتركك .

عماد: أرجوك نفذى ماقلته لك .

اضطرت مها أن تتحرك بالطفلين، ونظراتها ممتلئة بالخوف عليه .

بحث عماد عن عبدالمغيث، ووجده ملقى على الأرض، فاقداً الوعي. دخل إلى الشونة، فوجد النار مشتعلة بكثافة، وتسللت رائحة بنزين إلى أنفه، وجد جردلا، ملأه بالماء وحاول إطفاء الحريق، ثم استخدم التراب، وهو ينادى ويصرخ وقد استشعر فداحة الخسارة وفوجئ بمها تندفع ومعها جردل ماء .

سألها منزعجا : لماذا عدت؟ أين الأطفال ؟

مها: الأطفال أخذتهم الخادمة، وطلبت منها أن تبلغ كمال والمطافىء، وأنا لا أستطيع أن أتركك .

المياه كانت تزيد النار اشتعالا .

تنبهت مها لذلك، وخرجت، عبأت الجردل ترابا، واندفعت تصب التراب على النار، لكن قطعانا من ألسنة النيران قد حاصرتها ، فاندفع

عماد إليها وجذبها للخارج، وطلب منها التمرغ في التراب. وفعلا ألقت نفسها على الأرض وتدحرجت حتى انطفأت النيران العالقة بها، ودخلت الشونة فوجدت النيران تملأ فراغ الشونة .

★ ★ ★ ★

عندما وصلت سيارات الإطفاء، لم يستطيعوا إنقاذ شيء ووجدوا عماد فاقداً الوعى .

أما عبدالمغيث فقد أفاق، وقال إن هناك بعض الملثمين قد فاجأوه وضربوه على مؤخرة رأسه بعصا ثقيلة، ولا يعرف أحدا منهم .

★ ★ ★ ★

قال الطبيب الذى فحص عماد أنه مختنق من الدخان، ويجب نقله للمستشفى فورا .

عماد فتح عينيه ورأى أباه، ورأى مها، ورأى طارق وشيرين، وأمسك بيد مها ، ويد أبيه، وأسلم الروح .

٤١ - الحزن والشموع

تدحرجت مها من عرش النور إلى قاع الظلمة، ورسب الحزن فى حدقتيها، ورفعت الكآبة راياتها السوداء فى سهول قلبها. وتدلت عناكب الوحشة وأشباح العدم من سقف الليالى .

★ ★ ★ ★

قادتها قدماها إلى مكتبة الدكتور عماد ومعمله ومكان أبحاثه.

أغلقت الباب، وأرادت أن تعيش معه، روحه تحتل المكان. تأملت تمثال الرأس الذى كان يعمل عليه أبحاثه، والمقطع العرضى للمخ وتركيبه . والكتب العلمية عن المخ.

ضوء لمع فى ذاكرتها، أين رسالة الدكتوراة، بحثت فى المكتبة،

ووجدتها، مكتوبة باللغة الانجليزية وممتلئة بالرسومات.

حاولت أن تترجم وتتذكر كلمات عماد، شعرت بحبه يلفها فى موجة سحرية، عماد كان يهتم بكل شىء فى حياتها، بأطفالها المختلفين عقليا، وطرقها فى التعليم، لكنها قصرت فى الاهتمام برسالته العلمية . طارق وشيرين وأيمن وفصل عصافير الجنة.. لم يتركوا لها وقتا للاهتمام برسالة عماد العلمية .

هى تعرف اسم الدكتور المشرف على رسالته، يجب أن تذهب إليه فى كلية الطب جامعة أسيوط .. «الدكتور محمد ضياء» .

★ ★ ★ ★

فى مكتبه فوجىء الدكتور محمد ضياء بسيدة تلبس نظارة سوداء تدخل وهى مرفوعة الرأس .

شعر بأن هذه السيدة مجللة بالكبرياء ، وقف لاستقبالها، همست له مقدمة نفسها أنا مها زوجة الدكتور عماد صقر .. صاحب رسالة الدكتوراة الخاصة بالطرق الحديثة لعلاج أمراض المخ.

ازداد ترحيبه بها، ودعاها للجلوس، ولاحظ أنها لم تقدم نفسها على أنها أرملة الدكتور عماد صقر.

قال لها مواسيا:

- الدكتور عماد كان عبقرية علمية، وبحثه كان فتحاً مهماً أمام علاج كثير من أمراض المخ والأعصاب . ماذا تريدين بالضبط؟

- أن تدلنى على كيفية الاستفادة من هذا البحث .

- أولا عليك أن توثقيه حتى لايسطو أحد عليه.

سألته

- وثانيا ؟

- أنا سأساعدك على نشر أجزاء منه فى المجلات العلمية المتخصصة.

- أنا أبحث عن أكبر استفادة ممكنة .

- تقصدين استفادة مادية؟

- لا ..استفادة علمية .

- أنصحك بترجمة البحث للغة العربية، ونشره فى كتاب ليستفيد منه كل المهتمين، والكتاب خطوة كبيرة أمام فتوحات علمية فى مجال الطب.

- أرجو أن تشير علىّ بشخص ثقة لترجمة الكتاب تمهيدا لنشره .

وهى عائدة فى القطار إلى البلدة . لم يفارق عماد ذاكرتها ، وقررت أن تنشر بحثه فى كتاب .

★ ★ ★ ★

مر شهر على الحادث الأليم، وانجرفت آحلامها نحو الهاوية وقد انزوت بأحزانها تقتات عليها . وبدأت حوادث مريبة فى القصر.

لاحظت مها أن ماجدة انقطعت عن المجىء إليها . ثم انقطع أيمن، ثم اختفى طارق وشيرين .

وظهر كمال، وقال لها بصوت ثلجى : غادرى القصر، مجيئك إلينا كان شؤما .

عجزت عن الكلام ، ورآته شيطانا ماردا خرافيا ينفث النيران.

فى صمت جمعت حاجيات ضرورية، وغادرت إلى بيت أبويها المغلق منذ ذهابهما إلى الريف .

وتسلل الأسى إلى أعماق روحها ليقيم فى حجرة الأحزان فزهرات الأمل قد ذبلت ، والفرح قد صدأ .

٤٢ - كلمات على السبورة

أشرفت الأستاذة وداد على التدريس لعصافير الجنة. التلاميذ لم يتقبلوا وجودها.

فى يوم وجدت على السبورة كلمات «نحن ... نريد أبلة وداد ».

حملقت فى الكلمات مبتسمة، وهى غير مصدقة. لكنها لاحظت أن هناك فراغاً كبيراً بين كلمة نحن، ونريد نظرت إليهم وسألت: من كتب هذه الجملة؟

جميعهم رفعوا أصابعهم.

حمدى قال: هى جملة ناقصة.

قالت: تعال أكملها.

خرج حمدى، ومسك أصبع الطباشير، وكتب حرف «لا» فى الفراغ بين نحن ونريد لتصبح الجملة «نحن لا نريد أبلة وداد».

صاحت وداد غاضبة، امسح السبورة، وادخل إلى مكانك.

ولاحظت وداد أنهم يتبادلون ورقة بينهم ويضحكون، فأمسكت بالورقة، وإذ بها تجد بقرة مرسومة تغمز بعينها، ومكتوب عليها «أبلة وداد»، صرخت غيظاً، وصاحت: من رسمها؟!

لم يرد أحد، قالت وهى تضرب الأرض بقدميها: أنتم غربان لا عصافير.

صاح التلاميذ :كاك .. كاك ..كاك.

غادرت أبلة وداد الفصل، ولم تعد إليه مرة أخرى، لكنها كانت تتساءل: كيف وصل هؤلاء المتخلفون إلى هذه الدرجة؟!

لقد كتبوا جملة صعبة بإتقان.

مها هذه ساحرة لكى توصلهم لهذا المستوى.

★ ★ ★ ★

المديرة ثناء مرت بحالات متعاقبة.

الحالة الأولى كراهية مها بسبب الأستاذ كمال الذى اتهم زوجها المحاسب شوقى وعدداً من التجار أنهم خلف إشعال النيران فى شونة الفول أو المحرضون لارتكاب الفعل، ولكنه لم يستطع إثبات شئ وتم حفظ التحقيق.

وحالة أخرى .. وتفكير آخر تملك رأسها خاصة بعد أن رأت الفوضى والضجيج والصراخ فى فصل عصافير الجنة، فتذكرت مها ومجهوداتها وصبرها، وابتكاراتها فى التعليم.

«البنت كانت مصباحاً مضيئاً مشعا للآخرين».

هكذا همست المديرة ثناء. كما أنها لا تنتمى لآل الحاج صقر، والله يقول لنا «لا تزر وازرة وزر أخرى». الحقيقة، أنا لم أر منها إلا الخير.

ياه .. وحفلة آخر العام، ماذا أفعل فيها، سأنادى أبلة نجلاء، وأبلة وداد، وأرى ماذا لديهما.

★ ★ ★ ★

كمال أحضر لابنه مدرساً ... يعانى معه، ثم سحب طارق وشيرين إلى حضانته .

الطفلان يبكيان كثيرا، ويرددان جملة واحدة ..

- أين ماما مها ؟

- سافرت مع باباك .

قالت شيرين : بابا مات.

قال كمال: وأيضا مها ماتت.

قال طارق : أنت تكذب ماما مها لم تمت ، أنا رأيتها.

قال كمال : هى ماتت بعد أن رأيتها .

وحاولت ماجدة أن تستأنسهما ببعض الألعاب بدون جدوى .

★ ★ ★ ★

الحاج صقر .. كان موت عماد امتحانا قاسيا له . وفى خارج قاعة عبادته وفى داخلها غنى الصمت بلغته المجهولة .

من النافذة رأى طيوراً راحلة يفيض صوتها بشجن الوداع. ثمة حزن شفيف يطرق أجفانه .

لماذا لم تزره مها ؟

يا إلهى أشعل النفس الواهنة بالقوة.

طلب من الخادمة أن تزوده بالطفلين طارق وشيرين .

جاء الطفلان، احتضنهما، لثم وجنتيهما، ذاق طعم الدموع الجافة، تأمل وجهيهما البراءة المغسولة بماء الفجر .

همس : أتبكيان ياحبايبى ؟!

همسه أطلق ألسنتهما ، وفجر دموعهما .

من خلال شهقاته قال طارق : بابا عماد مات !!

وقالت شيرين : وماما مها ماتت!!

تيقظ وعى الرجل، وعاد من الغمام الأبيض المقدس الذى يسكنه، وسأل

- من قال هذا ؟

- عمى كمال .

- كمال .. كمال .. إنه الشر مجسد ، وعلينا أن نخاطب الشر بلغته .

نادى الحاج صقر الخادمة، وسألها،.

- أين سيدتك مها ؟

- غادرت القصر ياسيدى منذ أيام .

- «غادره النور ، وغادرته الرحمة» .

- أتقول شيئا ياسيدى ؟

- خذى الطفلين، ونادى سيدك كمال إلى الصالون الكبير .

- حاضر ياسيدى .

ارتجفت المرأة ، وهى تأخذ الطفلين، لم تره أبدا بهذه القوة، إنه مجرد خيال أبيض شفيف .. فماذا حدث؟!!

★ ★ ★ ★

فى الصالون الكبير وقف كمال منكس الرأس أمام الحاج صقر .

إنه يستطيع مواجهة العالم كله إلا أباه الحاج صقر.

سأله بصوت كالرعد (أين كان يخبئه؟!!): أين مها ؟!

- غادرت القصر.

- إلى أين؟

- إلى بيتها ؟

- هنا بيتها ياظالم .

- ستأخذ حقها بالكامل .

- حقها أن تعيش بيننا.

- كيف ؟ ولماذا؟!

- إنها تحمل روح عماد ياظلام.. ياحجر ..

نكس كمال رأسه لا يدرى بماذا يجيب.

- اذهب واعتذر وأحضرها بنفسك.

- لن تقبل يا أبى ، هى تمتلك كبرياء.

- قلتها بنفسك، إن روحها تقتات بالضياء.

- ماذا؟!! الرجل يخرف.

- قل لى ياحضرة المحامى.

- أوامرك يا أبى .

- ماهو حال أيمن ؟!

قال كمال

- في أسوأ حال.
- وما هو حال طارق وشيرين ؟!
- الله يرعاهما يا أبى.
- هل رأيت ؟
- ماذا يا أبى ؟
- أنت لا ترى شيئا، أنا سأعدل الميزان المائل .

٤٣ - زيارتان

سمعت مها صوتا عند باب البيت، الصوت كأنه ضغط الرياح، أو ضغط جسم ما .

سألت : من بالباب ؟

لم تسمع صوتا .

بهدوء حذر فتحت الباب، وفوجئت بطفل نائم أمام الباب بالملابس المدرسية .

تفرست مها في وجهه ، وقلبها يرتعش.

ابتسامة واسعة على وجه النائم .

- من .. حمدى !!

- لم أجد مكانا للنوم .

بالرغم من سحب الأحزان التى تركض فى قلبها ابتسمت ، وشدته للداخل، وسألته : ما الذى أتى بك ؟!

حملق فيها كثيرا، وارتمى فى حضنها وبكى .

أسرعت ، وأحضرت له ماء، وسألته عن حاله وحال فصل عصافير الجنة .

قال لها ، وهو يجفف دموعه: هذا ماجئت من أجله، لا أحد يعرف

غيرك ، كل الفصل سيأتى لزيارتك ، يجب أن تعودى ياماما .

★ ★ ★ ★

وقت الغروب .. فى نفس اليوم .. سمعت مها صوت جرس الباب .

همست : لقد جاء عصافير الجنة .

فتحت الباب، وقفت مشدوهة .. آخر شخص كانت تتوقع مجيئه

- الحاج صقر !!

- السلام عليكم يازوجة ابنى .

- وعليكم السلام ورحمة الله .. تفضل.

وقف فى المدخل ، وقال لها بصوت قوى

- لماذا غادرت بيتك يا ابنتى؟

- اسأل الأستاذ كمال.

قال بلهجة غريبة .. حادة .. بشكل لا يلائم الحاج صقر:

- ومن يكون كمال هذا؟!

- إنه المتصرف فى كل شىء بموجب التوكيل الذى معه .

- سألغى هذا التوكيل .

ساد الصمت بينهما ، وكأن كلاً منهما يراجع موقفه، والرجل قد أخذ قرارا مصيريا لا تدرى مها إن كان انزلق إليه، أو هو قرار نتيجة تفكير وتدبر .

وعندما طال الصمت حتى أصبحت الأشياء بلا معنى، قال الحاج صقر

- هيا .. معى إلى القصر .

قالت مها بكبرياء

- لن أعود .. إلا إذا أصبحت أنت صاحب الأمر .

قال الحاج صقر، وهو يغادر

- ميعادنا غدا .

٤٤ - الحاج صقر يحكي

كنت أعيش فى خلوتى شاعرا بطمأنينة ورسوخ ودوام إلى أن مات ابنى عماد، وهى أقسى تجربة من الممكن أن يمر بها أب، فالولد هو امتداد الأب ، وعزاؤه ضد الفناء .

وبالرغم من الإيمان الذى يعمر قلبى ، فإن موت عماد أسقطنى فى جب الأحزان، تلقيت فى لحظة عابرة رسالة مشحونة بكافة الرموز التى تقرر مصير قلب .

جاء الأحفاد إلى خلوتى ، فتذكرت مها وصلاة المغرب جماعة، هى بعثت دفئا آمنا، وجعلتنى شخصا جديدا يفيض قلبه بالأشواق.

قالت شيرين ببراءة : ماما مها ماتت .

عاصفة اقتلعت أوتاد خيمتى عند سماعى كلمة مها .

- مها .. أين مها ؟! عرفت من كمال أنه طردها ، يتصرف كأنه لا وجود لى ، وأنا نسيت كل شىء لأنى ملكت كل شىء .

كمال جعلنى أكتشف مستنقع الحقائق المروعة التى نغوص فى أوحالها.

ذهبت إلى مها فى بيتها، رأيت عماد فى عينيها، رأيت تاريخ قلبى كله متجمعاً فى لحظة، طلبت من مها أن تعود، فواجهتنى بحقيقة أنى أعيش فى فراغ ولا أملك شيئا .

فقلت لنفسى إذا علمتك المأساة أن تحزن، فتعلم منها أيضا أن تفهم.

فى الصباح ذهبت إلى مصلحة الشهر العقارى ، وقمت بإلغاء توكيل كمال .

ومعنى ذلك أن أشرف على كل شىء بنفسى ، وأن أرى الله من خلال الفعل والحركة لا من خلال السكون والعزلة .

ذهبت إلى بيت مها لأبلغها بما فعلت ، وأعيد النور لبيتى .

البيت مغلق ، والوحشة مستقرة هناك .

قالت لى سيدة عجوز ، أن مها غادرت إلى قريتها، فكسرت قلبى .

انشق صدرى عن ثغرة متفجرة بانفعالات طاغية لتغزو الفضاء كله .

أخبرت كمال بأنى ألغيت التوكيل، وكأنى ألقيت بقنبلة عليه زلزلته، واقتلعته من جذوره، ثار، وهدد برفع قضية حجر علىّ. ظهر وجهه القبيح، هو ابنى ، تذكرت سيدنا نوح وابنه .

قلت له : من تحكم فى ماله فما ظلم .

سألنى وأنا ما دورى ؟

دورك سيكون تحت إشرافى ، أو اذهب واعمل بالمحاماة.

★ ★ ★ ★

ملأت العواصف بيتى ، فقد سمعت بشقاق حدث بين ماجدة وكمال، لأول مرة أسمع ماجدة تعارض كمال، وتطالبه بعودة مها وإلا تركت البيت هى والأطفال .

وهذا دفعنى لأقول له إن لم تهدأ سيكون لى تصرف آخر . هذه العواصف أثرت على الأطفال تأثيرا بالغا .

٤٢- هروب

تسلل أيمن وهو يمسك بطارق وشيرين من القصر، ونفذوا من البوابة الحديدية، قالوا للخادم: نحن ذاهبون إلى المدرسة.

سألهم الخادم بدهشة: ألا تذهبون بالسيارة؟

قال أيمن: لا ... المدرسة قريبة.

وجد أيمن توك توك ، أشار للسائق، وركب هو وطارق وشيرين وقال: شلش.

سأله السائق :

- إلى أين؟!

- شلش.

- هل معك نقود؟

- نعم.

- سآخذ منك خمسة جنيهات.

أعطاه أيمن النقود، قال له :

- بسرعة.

عندما وصل السائق إلى الجسر الزراعى الذى يفصل بين بنى يحيى وشلش سأل أيمن:

- إلى بيت من فى شلش؟

- أبلة مها .

- مها من ؟

- لا أعرف.

قال طارق:

- بيتها فيه برج حمام كبير.

- انزل من هنا واسأل.

- نزل أيمن، ومعه طارق وشيرين، سائق التوك توك لاحظ غرابة الوضع . قال لإحدى الفلاحات: خذى بالك منهم يا خالة.

سألتهم الفلاحة:

- من تريدون يا أولاد؟

قال أيمن :

- أبلة مها.

- مها من ؟

قال طارق:

- لا أعرف .. بيتهم فيه برج حمام كبير.

- قصدك مها رفعت .. المدرسة التى كانت متزوجة من دكتور كبير ، ومات.

- نعم .. إنها هى.

- ومن تكونون ؟

قالت شيرين:

- أنا ابنتها.

وقال طارق:

- وأنا ابنها.

وقال أيمن:

- وأنا أيضا ابنها.

- وأين كنتم؟

قال أيمن:

- فى قصر جدى.

- قصر ... يعنى سرايا ... طيب تعالوا معى.

★ ★ ★ ★

فوجئت مها بأيمن وطارق وشيرين، والفلاحة تقول لها: كيف تتركين أولادك فى البندر؟ هذا لا يصح أبدا.

قبلتهم مها كثيرا، ثم سألتهم عمن أحضرهم، وسألت إن كان أحد يعرف بمجيئهم.

لكن والديها رحبوا بالأطفال، وقدموا لهم الطعام، والتصقت شيرين بمها وطوقت رقبتها.

وقال أيمن لها:

- نحن لا نذهب إلى المدرسة.

- لماذا؟

- لأنك غير موجودة هناك.

فاضت دموعها، وقبلتهم كثيرا.

وقالت لأمها: يجب أن نخبر السيدة ماجدة بوجود الأولاد هنا.

قالت الأم: الشبكة ضعيفة هنا.

قال الأب: سأذهب أنا إلى بنى يحيى أكلمهم من هناك، ما هو رقم

تليفونهم.

قالت مها: خذ الرقم الأرضى.

★ ★ ★ ★

دخلت ماجدة إلى قاعة الحاج صقر والخوف يدق جدران قلبها، فقد اكتشفت عدم وجود الأطفال فى مسكنها، ونبض قلبها فى خواء عندما لم تجدهم فى القاعة، وجاءها خاطر أن التجار الذين حرقوا الشونة قد اختطفوا الأطفال، لكن الجد صقر قال لها اهدئى ، ولن يكون إلا ما كتبه الله.

أخبرها حارس البوابة بخروج الأطفال وحدهم، نيران القلق عصفت بها، وجعلتها تعيد التفكير فى خضوعها لزوجها، وللحقيقة هو أيضا فقد كل توازن وهدوء ، وشعر أنه يجنى ثمرة ظلمه لها .

قال كمال لأبيه: أنا طوع أمرك .

جرس التليفون أعاد الطمأنينة إلى القلوب الخاوية.

الأطفال عند مها .. أحمدك يارب.

قال الجد: القلوب مطبوعة للحنين لمن يعطف عليها، الأطفال حددوا الاتجاه.

★ ★ ★ ★

فوجئت المديرة ثناء بالرجل الأسطورة الحاج صقر وابنه كمال والسيدة ماجدة فى حجرة مكتبها، قامت مرحبة مهللة ودعتهم للجلوس.

لم يجلس أحد.

قال الحاج صقر بصوت غريب:

- أريد مها يا حضرة المديرة.

قالت ثناء بأسى:

- مها!! إنها لا تحضر، وقدمت أجازة بدون مرتب.

- لا تعطيها، فأولادها يحتاجون لها.

- ماذا ؟!

- أريد أولادها عصافير الجنة ليذهبوا معنا لإحضارها.

- من أين؟ وماهى الحكاية؟

بصوت قوى قال الحاج صقر كلمات، واستمعت المديرة، قال الحاج صقر:

- عصافير الجنة سيعيدونها.

قالت المديرة ثناء :

- وأنا سأحضر معكم.

★ ★ ★ ★

مها انغمست فى الشجن وامتلأت بوحدتها وعجزها ويأسها.

طيور الأسى والبكاء تنهش ذاكرتها .

وقت الغروب تلوح فى السماء سحب بيضاء وهى تهدهد شعاعاً ذهبياً، حفيف غصون الأشجار يبعث هسيساً هامساً.

أصوات صاخبة فرضت نفسها، أطلت مها من الشرفة مستطلعة.

عربة فاخرة «كأنها تعرفها» فى المقدمة، وخلفها عشرة من التوك توك كأنهم فى زفة عروس، منظر يحتاج لروح فرحة ، أما الروح الحزينة فعليها أن تقبع فى الداخل.

أصوات الكلاكسات تفرض نفسها عليها. إنها تسمع اسمها، خرجت لترى.

عيناها تريان منظراً لا يصدقه عقل.

الحاج صقر، وكمال، وماجدة، وثناء، ونجلاء، يقفون خلف الأطفال ويمسكون الشموع . وما أن رأوها تطل عليهم حتى رفعوا أياديهم عاليا.

وكانت طيور بيضاء تطير نحو الأفق .

عينا مها تركزت على الحاج صقر وبكت .

★ ★ ★ ★

فى داخل البيت قال الحاج صقر لها

- جهزى حقيبتك لتعودي معنا فورا.

- إلى أين ؟!

- إلى بيتك .

وقالت المديرة ثناء :

- إلى مدرستك .. إلى عصافيرك .

ارتمى الأولاد فى حضنها ، كمال نكس رأسه . ماجدة أسرعت إليها وقبلتها .

أيمن وطارق وشيرين جلسوا فى حجرها .

قال الحاج صقر ستكونين وصية على أولادك طارق وشيرين . وستعيشين معنا معززة مكرمة، وأنا ألغيت توكيل كمال .

النهاية

مها تعلم أن شخصية الإنسان تكمن فى إرادته. ولذلك حاولت جاهدة أن تطرد الأحزان من قلبها وأن تسترد صفاء عقلها من قبضة الأفكار السلبية. وقال لها الحاج صقر وهو يحاول أن يسترد يقينه:

- إن الحكمة تخفف من ويلات البشر. وستجدين ذاتك، وتخلصين روحك من قبضة الأحزان بكثرة عطائك للآخرين . وهذا ما سأفعله أنا ، اعتبرينى ظهيرا لك فى كل ما تطلبين ، وأبا روحيا لعيالك عصافير الجنة.

كلماته كأنها غسلت روحها بالنور.

★ ★ ★ ★

فى الفصل ظهرت مها بملابس عادية، رفضت أن تلبس ملابس سوداء ، وباركها الحاج صقر بقوله الحزن فى القلب، والملابس السوداء احتجاج أو عدم رضاء بقضاء الله، وهذا نقص إيمان، أما مها، فكانت المسألة بالنسبة لها نفسية أطفالها . فهم سريعو التأثر، وهى تريد جوا بهيجاً لهم، خاصة وأنهم يقتربون من نهاية العام، وعليهم أن يتقنوا

أدوارهم فى حفل الختام لأن هذا سيؤثر فى نظرة وتقدير الآخرين لهم ، والأهم تقديرهم هم لأنفسهم، وإحساسهم بذاتهم .

★ ★ ★ ★

لزيادة الإتقان فى التمثيل اشترت كاميرا لطارق، وطلبت منه أن يصور كل المواقف التمثيلية، وبدأ التصوير تحت إرشاد مها أولا.. ثم استقل بإصرار وعناد .

وجمعت مها الصور ، وأعطت لعصافير الجنة الصور الخاصة بأدوارهم ، وطلبت من كل فرد أن يجمع الصور فى كراسة حسب الترتيب فى التمثيلية .

★ ★ ★ ★

شىء آخر دخل فى حياة عصافير الجنة، وهو أن مها كانت تأخذهم للحقول المترامية فى القصر، ويقومون بالتمثيل هناك، وكان العصافير يفرحون كثيرا لذلك، لأن مها تقدم لهم المشروبات والحلوى ، وتحرص على أن يقضوا وقتا سعيدا، وكانت المديرة ثناء توافق بالرغم منها، فهذا يسبب شعوراً بالحسرة لباقى تلاميذ المدرسة .

وكانت ثناء تغلف رضاها بنوع من التحذير والتنبيه قائلة ياليت يرفعوا رأسنا فى الحفل الختامى.

فترد مها بثقة : إن شاء الله .

★ ★ ★ ★

جاء الحاج صقر للمديرة، وقال لها:

- حفل الختام هذا..

قالت ثناء متعجبة

- ماذا به؟!

- أريده حفلا باهرا.. تتحدث عنه البلدة.

- أنت ياحاج صقر؟!

– وأنا سأدفع كل التكاليف، وعليك أن تحددى جوائز للمتفوقين، وأن تدعى مدير المديرية، ولا تخشين شيئاً. (كان الرجل يشعر بأنه يقوم بدور ابنه عماد) .

ثناء مذهولة مما تسمع، لكنها بالتأكيد فرحة، ولذلك فإنها دعت لاجتماع مع مها ونجلاء ووداد.. وتدارست معهم وضع الحفل وزمانه ومكانه وشخصيات المدعوين . واستقر رأيهم على أن يقام الحفل فى سينما قرشى .

ورأت وداد أن تتصل المديرة بالثقافة الجماهيرية فى أسيوط لإرسال مخرج لإخراج فقرات الحفل.

واعترضت نجلاء خوفا من أن تنسب الثقافة الجماهيرية العمل لها وأيدتها مها، وقالت: نحن سنرى كل الفقرات من غناء وتابلوهات شعبية، وفقرات تمثيلية لعصافير الجنة، ونكون رؤية شاملة بحيث يصبح العمل متكاملا .

وافقت ثناء ، وهى غير مطمئنة .

★ ★ ★ ★

فى يوم الحفل، فى سينما قرشى. حضر المحافظ رجائى الطحلاوي، وخاصة عندما عرف بخلفية الحفل، وأن عصافير الجنة سيقومون بجزء كبير من الحفل . وأن المدرسة وظفت المواقف التمثيلية لعلاج بعض الانحرافات السلوكية للأطفال .

كما حضر السكرتير العام للمحافظة محمد عبدالمحسن، وحضر مدير المنطقة التعليمية فى أسيوط .

وأهم من حضروا كانت عائلة الحاج صقر، وخاصة الحاج صقر نفسه .

وقامت مها بتقديم الحفل.

وكانت الفقرة الأولى للبنات الثلاث بملابسهن الملائكية وغنوا «نحن عصافير الجنة» .

أما ما أثار الدهشة وقوف باقى الأولاد خلفهن بدون أن ينطقوا كلمة واحدة .

وبعد انتهاء البنات من الغناء والتصفيق لهن ولا أحد يصدق أنهن بنات مختلفات .

وقبل أن تنصرفن من المسرح، صدحت موسيقى غريبة مضحكة وغنى الأولاد.. ونحن الغربان.. كاك .. كاك، فأثاروا عاصفة من الضحك.

تقدمت مها، وقالت :

– والآن نقدم لكم أغنية لمطرب المستقبل حمدى عبدالرحمن، وتلحين الأستاذة نجلاء، وعزف طارق وشيرين.

وبحثوا عن حمدى ، فوجدوه نائما فى حجرة الملابس، نثروا فى وجهه الماء ، ومشطت نجلاء شعره، وسألته : هل أنت حافظ الأغنية؟ فسألها أية أغنية؟! صاحت نجلاء وهى تكاد تفقد أعصابها : يا إلهى .. مها المسئولة عن ذلك. ولكن حمدى فاجأها بأن ضحك، وقال لها كلمات الأغنية منغمة فضربته على خده مداعبة: وهل هذا وقت الهزل؟! هيا أيها المطرب النائم .

وصفق الناس لحمدى كثيرا، وطلبوا منه الإعادة وهو ينحنى لهم قائلا: متشكر قوى .. متشكر قوى إلى أن أغلقت الستار .

أما ما أذهل الجميع ، وأثار ضحكهم واستحسانهم ، فهى المواقف التمثيلية التى قدمها فريق عصافير الجنة، مما جعل المحافظ يهمس لمدير المنطقة التعليمية طالباً منه تعميم وجود فصل فى كل المدارس الابتدائية لعصافير الجنة.

وبعد انتهاء الحفل شعرت مها أنها ستقطع خطوات كبيرة ناجحة مع عصافير الجنة .

هذه الرواية

يستمر على ماهر عيد فى مشروعه الروائى بكتابة الرواية التربوية النفسية التى تهم جميع أفراد الأسرة والمربين والمدرسين .

وهذه الرواية تحكى عن مدرسة فى مدرسة ابتدائية تتزوج من طبيب أرمل له طفلان مختلفان عقليا ، وله ابن أخ يعانى من مرض السرقة بالرغم من ثراء الأسرة . وتسعى مها لتخصيص فصل دراسى للتلاميذ الذين يعانون من صعوبات فى التحصيل الدراسى، وتطبق معهم أساليب تربوية حديثة، للخروج بهم من ظلام الجهل والغيبوبة العقلية إلى نور المعرفة والتفاعل مع المجتمع .

فهل تنجح فى مهمتها ؟! وهل يساعدها المجتمع والثقافة السائدة فى مهمتها ؟!

إنها رواية نفخر بتقديمها بعد أن قدمنا «الأستاذة منار» التى فازت بجائزة خليفة للإبداع التربوى .

وندعو كل تلميذ ومدرس والآباء والمهتمين بالتربية لقراءة هذه الرواية الفريدة .

أحدث إصدارات روايات الهلال عامى ٢٠١١ ،٢٠١٢

اسم الرواية	المؤلف	الشهر	السنة	رقم العدد
صخرة فى الأنطوشى	محمد جبريل	يناير	٢٠١١	٧٤٥
قبل الأبد برصاصة	أنيسة عبود	فبراير/ مارس	٢٠١١	٧٤٦
جناح واحد وفضاء	محمد الفارسى	ابريل	٢٠١١	٧٤٧
الأرملة السوداء	صبحى فحماوى	مايو	٢٠١١	٧٤٨
ما فهمتكم	د.مرعى مدكور	يونيه	٢٠١١	٧٤٩
الحب والزمن	سعيد سالم	يوليو	٢٠١١	٧٥٠
فى انتظار النور	سناء أبوشرار	اغسطس	٢٠١١	٧٥١
ذكريات منسية	حمدى البطران	سبتمبر	٢٠١١	٧٥٢
السنوات الرهيبة	جنكيز ضاغجى	أكتوبر	٢٠١١	٧٥٣
والنجوم أيضا تموت	د.ليلى عنان	نوفمبر	٢٠١١	٧٥٤
الحجاج بن يوسف	جرجى زيدان	ديسمبر	٢٠١١	٧٥٥
حجر السرائر	نبيل سليمان	يناير	٢٠١٢	٧٥٦

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

كتاب الهلال

د. وليد محمود عبد الناصر

إيران الثورة
شخصيات وراء الأحداث

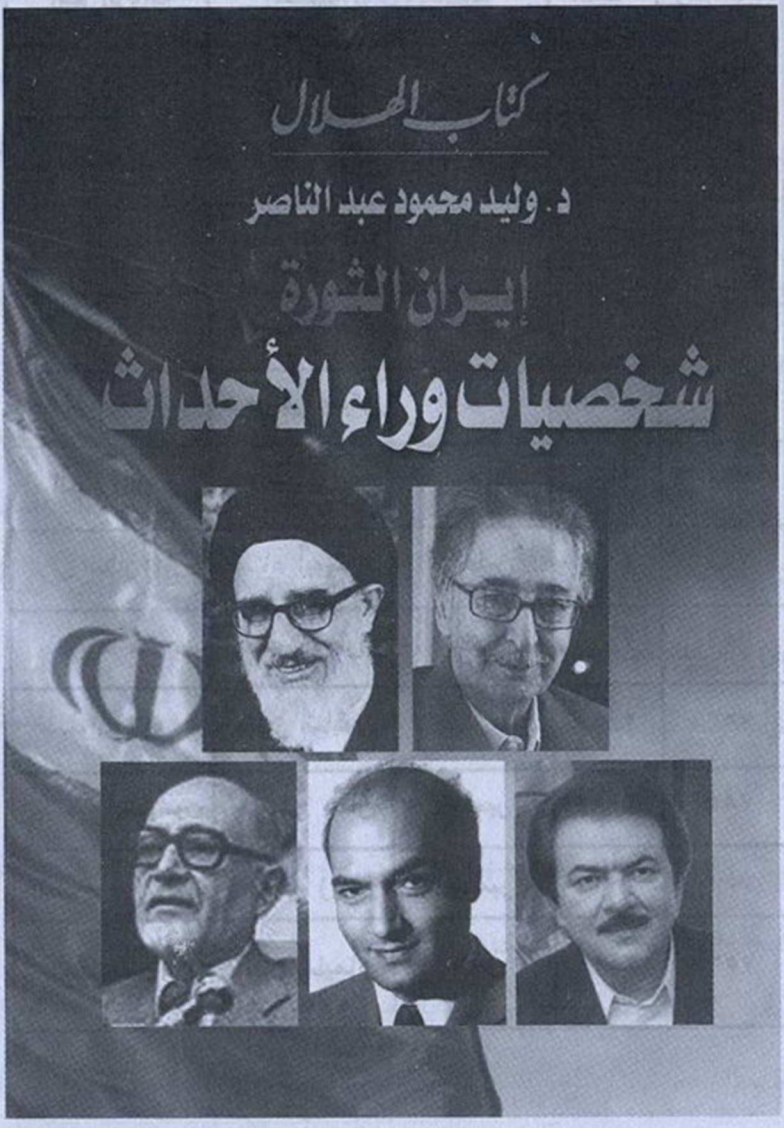

روايات الهلال

حجر السرائر

نبيل سليمان

جمال عبد النبي

www.ibtesama.com/vb

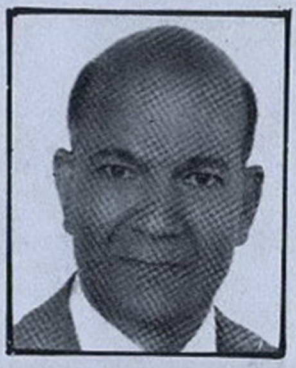

المؤلف فى سطور

على ماهر عيد :

روائى حصل على عدد من الجوائز :

١ - الجائزة القومية عن رواية (أشياء لاتموت) .

٢ - جائزة نادى القصة عن رواية (المجد الدامى).

٣ - جائزة الدولة القطرية عن رواية (حازم والقلوب الخضراء) .

٤ - جائزة خليفة للإبداع التربوى عن رواية (الأستاذة منار).

وله اهتمام كبير بالكتابة للأطفال . فنشر مجلدين فى دار الفكر العربى .

ونشر أكثر من ٥٠٠ قصة فى مجلات علاء الدين، وماجد، وباسم، وأحمد .

وله روايات رومانسية، وروايات خيال علمى، وكتابان صدرا من المجلس الأعلى للشباب: (عبدالله النديم)، وإبراهيم الرفاعى .

كما نشر سبع روايات من التاريخ الفرعونى فى سلسلة روايات الهلال للأولاد والبنات .

منتديات مجلة الإبتسامة

الهلال

فبراير 2012 - الثمن 6 جنيهات

رجائى عطية

حكيم الفكر والثقافة والقانون

ملف خاص

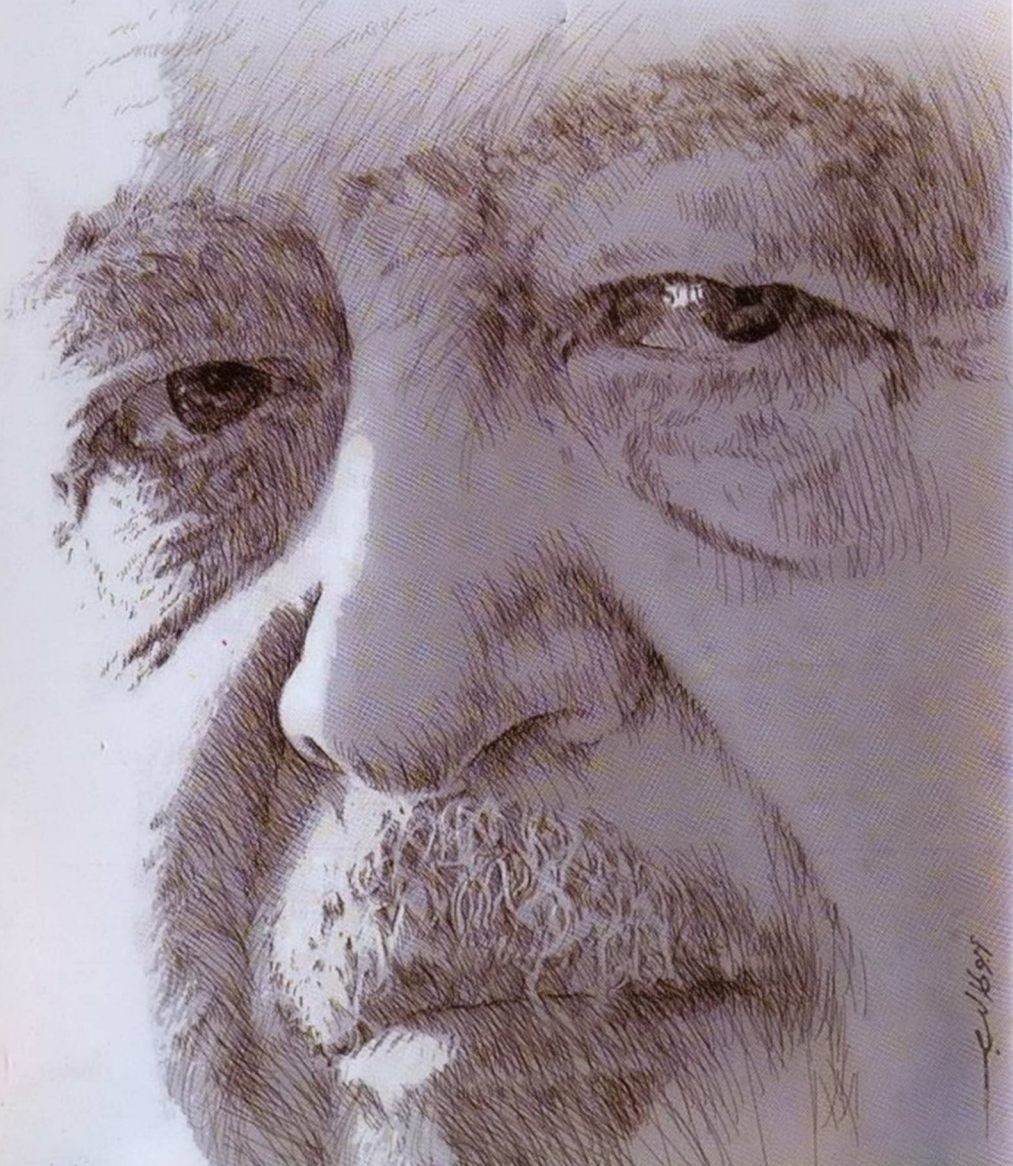

روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شىء ملائكى رائع

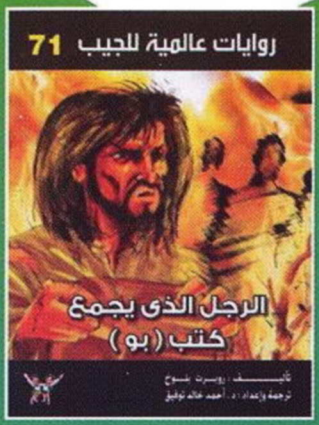

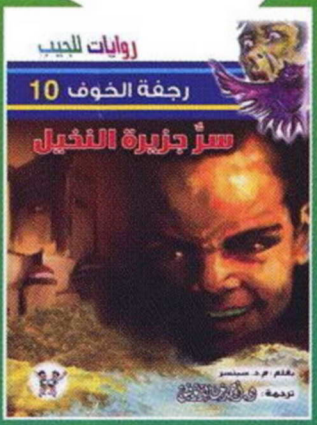

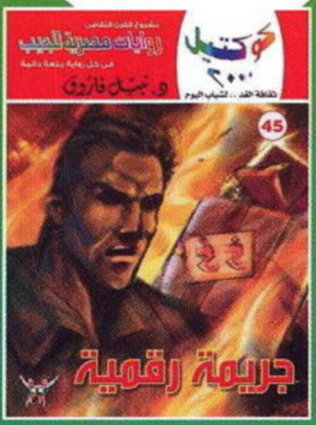

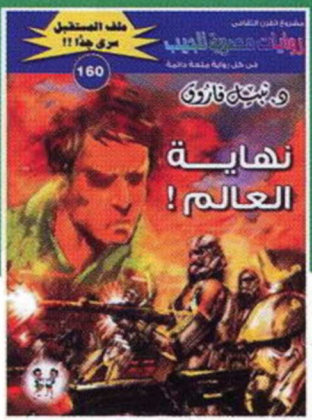

شلال متدفّق من الروايات لا يهدأ ، ولا يخمد .. يستولى على ألباب القراء ، ويبحر بهم إلى آفاق رائعة من الثقافة ، والمتعة ، والإثارة .

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقى الفجالة ، 4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة ـ ت : 26823792 ـ 25928202 ـ 22586197 فاكس ـ 202/25966650 م.م.ع ، 4 ش بدوى محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 ـ 03/4970850

حصريات

www.ibtesama.com